دراسات وبحوث فى تاريخ التربية والتعليم

الجزء الثانى

دكتور
جمال على الدهشان
أستاذ أصول التربية المساعد
كلية التربية - جامعة المنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون "

صدق الله العظيم

(سورة التوبة الآية ١٠٥)

الفصل الأول

الأسرة ودورها فى تربية الطفل من منظور تاريخى

الأسرة ودورها فى تربية الطفل
من منظور تاريخى

قضية الطفولة والاهتمام بتربية الأطفال قديمة قدم التاريخ الإنسانى، فمنذ بدء الخليقة اهتم الآباء بتربية أطفالهم ورعايتهم وحمايتهم من الأضرار حتى يشبوا رجالا ونساء قادرين على تدبير شئونهم فى الحياة.

ولعل الدارس لواقع تربية الطفل فى المجتمعات القديمة والوسطى والحديثة يلاحظ أن معظم المجتمعات كانت تعتبر الآباء والأمهات مسئولين عن تربية أطفالهم فى فترة الطفولة المبكرة، أى السنوات التى تسبق التحاقهم بمدارس المرحلة الأولى، فالمنزل كان – ولا يزال – مدرسة الطفل فى مراحل نموه المبكرة فإلى وقت قريب كانت تربية الطفل فى مؤسسات تعليمية تبدأ فى معظم المجتمعات فى السادسة أو السابعة من عمر الطفل أو قبل ذلك بقليل، وحتى بعد ظهور مؤسسات لتعليم طفل ما قبل المدرسة، كان ذلك يتم بالتعاون والتكامل مع الأسرة من خلال اشتراك الآباء والأمهات فى المجالات المختلفة فى تربية الأطفال، والانتفاع بجهودهم بعد تثقيفهم – إذا كان ينقصهم هذا التثقيف – فيما يختص بالطرق المثلى فى رعاية أطفالهم ومساعدتهم وتربيتهم فى سنواتهم الأولى، التى هى أهم مراحل حياتهم.

ففى الأسرة يتعلم الطفل المشى والكلام وطريقة الأكل وبعض العادات الأخرى التى تؤثر فى أسلوب حياته فيما بعد، وفى الجو الأسرى

يتشرب الطفل معلوماته الأولى، وتتكون لديه القيم التى توجه سلوكه وتعامله مع أفراد أسرته ومجتمعه المحدود المحيط به.

وقد لعبت الأسرة – ومازالت – دوراً هاما فى عملية التربية بجوانبها المختلفة، فالأسرة كانت عبر العصور المختلفة إحدى أهم المؤسسات التربوية ذات الأثر الفعال فى حياة الفرد والمجتمع، هذا على الرغم من التغيرات الحديثة التى طرأت على حياة الأسرة، وجعلت ميزان الثقل التربوى ينتقل إلى بعض المؤسسات الأخرى.

فالأسرة أول مؤسسة تربوية تتسلم الطفل فى بداية حياته، وفى مرحلة تتسم بالمرونة والقابلية للتشكل، لن تتكرر فى أية مرحلة من مراحل نموه التالية، وفى هذا المعنى يقول الأمام على كرم الله وجهه "إنما قلب الحدث كالأرض الخاوية ما ألقى فيها شيئا إلا قبلته".

فالسنوات الأولى من حياة الطفل تعد من أهم وأخطر الفترات فى تكوين شخصيته وتحديد ملامحها الرئيسية، حيث تدل دراسات عديدة فى مجالات التربية وعلم النفس على أن نسبة كبيرة من مقومات شخصية الفرد المعرفية والوجدانية والسلوكية، تتشكل فى السنوات الخمس أو الست الأولى من عمره والتى يسميها البعض "السنوات التكوينية" إذ تظهر خلال هذه الفترة أهم القدرات والمؤهلات وترسم الخطوط الكبرى لما سيكون عليه الطفل فى المستقبل.

وليس معنى ذلك أن السنوات المبكرة من حياة الطفل، تحدد نموه إلى الحد الذى لا يمكن معه إحداث أى تغيير فيما بعد، ولكن المقصود هو أن الأسس ذات الأهمية البالغة فى حياة الطفل توضع فى تلك الفترة، ولذلك يؤكد الكثيرون أننا إذا أحسنا تربية الطفل فى سنواته الأولى، فكأننا قد قمنا بنصف تربيته، فإذا صلح الأساس بالتربية الرشيدة صلح البناء.

ولعل مما يزيد من أهمية الأسرة فى مجال التربية، أنها تتولى تربية الأبناء لفترة زمنية طويلة لا تقتصر على مرحلة الطفولة، ولكنها تمتد إلى الفترات التالية من عمرهم، صحيح أن الأبناء عندما يكبرون يقضون أوقاتا أطول بعيدا عن الأسرة، إلا أنهم وحتى سن ١٨ سنة يقضون جزءا كبيرا من وقتهم داخل الأسرة، كذلك يتعرض الأبناء داخل الأسرة لعمليات تعلم متنوعة وواسعة، ويتعرضون لمشاعر أساسية مثل الحب والحزن والغضب، بل ويتعلمون الكيفية التى يعبرون بها عن هذه المشاعر أو كبتها.

وإذا كان للأسرة هذه الأهمية التربوية. وإذا كان المربون يؤكدون على أن الأسرة تعد من أهم المؤسسات التربوية التى يتعرض لها الفرد بصفة عامة والطفل بصفة خاصة، فإن الأمر يتطلب ضرورة أن يكون الوالدان والمعلمون، ومن يعدون للتعامل مع الأطفال، على دراية ووعى بالأسس والقواعد التربوية التى يجب مراعاتها فى التعامل مع الأطفال حتى تنجح الأسرة فى القيام بدورها التربوى فى إطار من التوجيه السليم والتهذيب

المستمر، ولعل ذلك يمكن أن يتم من خلال استعراض ما قامت به الأسـرة من دور فى تربية الأطفال عبر العصور التاريخية وحتى الآن. وانطلاقا مـن ذلك نستعرض فيما يلى النقاط التالية:

١- مبررات الاهتمام الحالى بالأسرة كمؤسسة تربوية.

٢- الدور التربوى للأسرة فى العصور البدائية.

٣- الدور التربوى للأسرة فى الحضـارات الأولى (الحضـارة المصـرية القديمة).

٤- الدور التربوى للأسرة فى العصور الوسطى المسيحية.

٥- الدور التربوى للأسرة فى العصور الوسطى الإسلامية.

٦- الدور التربوى للأسرة فى العصور الحديثة.

أولاً: مبررات الاهتمام الحالى بالأسرة كمؤسسة تربوية:

وإذا كان للأسرة هذا الدور الهام فى عملية التربية بجوانبها المختلفة، الأمر الذى يتطلب ضرورة الاهتمام بها فى كل وقت وكل عصر، بل توجد الآن عوامل ومبررات تزيد من أهميتها، وتبرز دورها كأحد أهم المؤسسات التربوية فى الوقت الحالى، من هذه العوامل والمبررات ما يلى:

١- أهمية دور الآباء والأمهات فى حياة الأبناء:

للآباء والأمهات دور هام فى حياة أبنائهم فهما أكثر الناس تـأثيرا

فى الطفل، وأكثر قدرة على تشكيله بالصورة التى سيبقى عليها فى مراحـــل نموه التالية، فالآباء والأمهات مصدر التوجيه الرئيسى للأبناء، وبمقدار الجهد المبذول فى تربيتهم والحرص على توجيههم، يصبح هؤلاء الأبناء رصيدا قويا لأنفسهم ولأمتهم، وبمقدار التراخى أو القصور فى أداء تلك الرسالة، يحدث الخلل فى تربيتهم، ويصبحون نقطة ضعف كبيرة فى مجتمعهم وعبء يعوقـــه عن تقدمه.

فالمنزل – رغم ظهور مؤسسات تربوية عديدة – مازال يمثل أهـــم المؤسسات التربوية التى لها أثرا عميقا وقويـــا فى حيـــاة الفـــرد الحاضـــرة والمستقبلية، فالبيت يتولى رعاية وتهذيب الطفل فى أحرج فتـــرات عمـــره، وأعمقها آثارا فى بناء شخصيته، وتكوين اتجاهاته وقيمه وأفكـــاره فى كـــل ميدان، وتشكيل حياته بصفة عامة.

فعلى الرغم من أن المدرسة – أو دور الحضانة ورياض الأطفال – هى المؤسسة التربوية المقصودة التى غايتها الأساسية عملية التربية، فإنـــه لا تبدأ عملها من فراغ، بل تتلقى الطفل بعد أن يكون قد مـــر بكـــثير مـــن الخبرات والمواقف، واكتسب العديد من أنماط السلوك والمهارات المختلفـــة داخل المنزل، كما أن المنزل هو الذى يسرع – غالبا – بتدارك (من خلال توجيه الوالدين) الانحرافات والاضطرابات السلوكية فى الفترة المبكرة مـــن حياة الفرد قبل أن تستفحل وتتشعب جذورها، وتستعصى على الاقـــتلاع، وقد قدر "بنجامين بلوم" أن الأهمية الكبرى للبيئة الأسرية بالنسبة للطفولـــة

المبكرة ترجع إلى ثلاثة عوامل:

أ- النمو السريع للصفات المختارة فى السن المبكرة والتــأثير القــوى للبيئة.

ب- بناء سمات الشخصية فى مراحل العمر المتأخرة، على ما تكون فيهــا من المراحل الأولى طبقا لما هو معروف عن تطور طبيعة الإنسان.

ج- أن التعليم المبكر أكثر سهولة من المتأخر.

إن تأثير البيت (الوالدين) لا يقف عند حد الســنوات الأولى مــن حياة الطفل، وإنما يلازم تأثيره الفرد فى مختلف مراحل حياته، فدور البيت فى عملية التربية ملازم دائما لغيره مــن الوســائط والمؤسســات التربويــة والاجتماعية فى المجتمع، فالطفل يذهب إلى المدرسة ومعه البيــت بخبراتــه ومؤثراته وثقافته بصفة عامة، ففى البيت يتعرض الطفل للعديد من المواقف والخبرات فيبدأ معه عملية التنشئة الاجتماعية من لا شيء تقريبا ليســاعده تدريجيا على التفاعل مع كل ما يوجد فى بيئته المادية والاجتماعية، كما يعده للاندماج فى مؤسسات المجتمع ومناشط الحياة بوجه عام، ويمكن أن يكــون للوالدين والأخوة وغيرهم من أعضاء الأسرة الأقربين، تأثير علــى ســلوك الطفل فى المدرسة، فمن والديه يكتسب كثيراً من الاتجاهات الأساسية نحــو المدرسة ونحو العملية التربوية.

٣- تضاؤل دور المدرسة فى عملية التربية وتركيزها فقط على الجوانب المعرفية:

إن الدارس لواقع المدارس فى مصر، يجد أنها تركز بصورة أساسية على الجانب المعرفى وكم المعلومات سواء فى المقررات أو طرق التدريس والتقويم، فمعظم طرق التعليم بها تعتمد على أساليب التلقين والتحفيظ، واعتبار المعلم والمقرر (الكتاب المدرسى) هما المصدر الأساسى بل والوحيد أحيانا للحصول على المادة المعرفية، وفى هذا المعنى يشير سعيد إسماعيل على أن من المؤسف أن نسجل أن المدرسة اليوم قد تخلت عن مهمة التربية، نتيجة لذلك التآكل فى اليوم المدرسى، وندرة الأنشطة المدرسية، وارتفاع كثافة الفصول، والتكدس فى المناهج والمقررات الدراسية مما يلقى العبء على الأسرة لتعود مرة أخرى لتحمل مسئولية التربية. ويضيف إلى ذلك فيقول "والأكثر من ذلك أن مدارس اليوم حتى بالنسبة لمهمة التعليم، قد أصبحت مقصرة فيه إلى حد كبير، وهو ما يجعل الأسرة المصرية تلجأ إلى تعويض ذلك بالدروس الخصوصية التى تستنزف قدرا كبيرا من المال والجهد" والأسرة من خلال الأم المتعلمة المتفرغة بعض الوقت تستطيع أن تساعد إلى حد كبير فى القيام بهذه المهمة فى البيت، ويعتبر هذا دخلا غير مباشر لها عن طريق تجنيب الأسرة مزيداً من الإنفاق على الدروس الخصوصية.

إن للظروف الحالية التى تعمل المدارس فى ظلها، دوراً فى جعل دور

المدرسة متواضعا فى عملية التربية خاصة فى جوانبها المعرفيـــة والوجدانيـــة والمهارية، فالمدة الحقيقية التى يقضيها الطالب بالمدرسة والجامعة لا تزيـــد فى المتوسط عن ٣ سنوات، فمدة تعلميه حوالى ١٦ عاما، ربعها عطلات يتبقى ١٢ عاما، يقضى الطالب ما يقرب من ٦ ساعات بالمدرسة فى اليوم الواحد (أى ربع اليوم) وهذه الساعات تشكل المدة الحقيقية والتى لا تتجاوز ثلاث سنوات، ولعل ذلك يزيد من أهمية قيام الأسرة بدورها التربوى فى الوقـــت الحالى.

٣- الانفجار المعرفى والإعلامى والتكنولوجى:

لا يختلف اثنان على أننا نعيش فى عصر ثورة المعلومات وتســـارع المعارف، وهذا يعنى أن المعارف والنظريات الحاليـــة يمكـــن أن تتعـــدل أو تسقط، ويحل محلها نقيضها فى ظرف سنوات، وفى ذلك يشير أحد المفكرين أن المعرفة العلمية المتخصصة تتضاعف كل عشر سنوات، وأن ١٠٠ مجلـــة علمية تصدر كل عام بأكثر من ٦٠ لغة، وأن هذا العدد يتضـــاعف كـــل خمس عشرة سنة، ويشير آخر إلى أنه إذا قدرنا سرعة الإيقاع التى تتضـــخم بها المعارف بميزان الوقت الحاضر، فإننا نجد أن الطفل الذى يولـــد اليـــوم سوف يواجه حينما يبلغ أربعة وعشرين سنة من المعارف ما يبلغ أضعاف ما هو متوافر لدينا اليوم، وحينما يبلغ سن الخمسين سوف تكون هذه المعارف قد تضاعفت ٣٢ مرة، هذا الانفجار الهائل للمعرفة يفرض قيودا على مـــا ينبغى أن نقدمه من مناهج ومقررات للأطفال والشباب، وســـيترتب علـــى

ذلك نتائج عديدة، منها أن العملية التعليمية ستصبح مستمرة وستصبح حياة الشخص سلسلة متعاقبة من الدراسة والعمل والتدريب وإعادة التدريب، كما أن هذا الانفجار سيفرض على الوالدين مسئوليات عديدة تتعلق بالإجابة على تساؤلات أطفالهم.

كما يرتبط بهذا الانفجار المعرفى تطور هائل فى نظم ووسائل الاتصال والانتقال، حيث أصبحت الأخبار والأفكار والمعلومات فى أى مكان فى متناول الأفراد، بحيث يستطيعون الإلمام بكل ما يجرى حولهم وحول غيرهم ممن يعيشون بعيدين عنهم بآلاف الأميال، وأصبح العالم اليوم كما يقال بحق قرية صغيرة بفضل التقدم الهائل فى وسائل الإعلام والأقمار الصناعية، والحاسبات الإلكترونية ذات القدرة العالية (الإمكانات الهائلة) فى تخزين واسترجاع المعلومات بسرعة فائقة.

هذا التطور الهائل فى مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال سوف يقود إلى أن يحل البيت محل المدرسة فى كثير من عمليات التعليم والاستيعاب (من خلال أنماط التعليم عن بعد) وسيصبح فى إمكان التلميذ أن يدرس الموضوع الذى يهمه، وهو جالس أمام شاشة الكمبيوتر فى بيته، ويستطيع تأدية الامتحان الذى يهمه وهو جالس أمام تلك الشاشة فى بيته أيضا. ولعل ذلك يلقى مسئوليات عديدة على الوالدين فى الأسرة ويبرز دورها الهام فى عمليات التربية، الأمر الذى سوف يزيد من دور الأسرة فى عملية التربية.

ولعل ذلك هو أكدت عليه رابطة مديرى المـــدارس الأمريكيـــة فى تقريرها عما يجب أن يتعلمه التلاميذ للنجاح فى القرن الحادى والعشـــرين، حيث أن للآباء دور هام فى إعداد أبناءهم للقرن الواحد والعشرين، وأن ما يجب أن يفعلوه يتمثل فى الآتى:

أ- توفير بيئة منزلية خصبة مستقرة تساعد على التعلم.

ب- القراءة للأطفال ومعهم.

ج- دعم احترام الأطفال لذواقم عن طريق الرعاية والاهتمام.

د- قضاء وقت أكبر مثمر ومفيد مع الأطفال.

هـ- الإفادة من أفضل ما يقدمه التليفزيون ثم إغلاقه، مع تنمية مهـــارات استخدام أجهزة الإعلام والترفيه.

و- تنمية نماذج خلقية رفيعة للسلوك واتخاذ القرارات، من خلال التزامهم بها فى سلوكهم والحرص على تنميتها فى أولادهم.

ز- تنمية مفهوم التعلم الذاتى والتعلم مدى الحياة عند الأبناء وتقديره.

ويتطلب الأمر معه ضرورة الاهتمام بتعريف الوالدين بالأدوار التى عليهم القيام بها فى ظل تلك الظروف الجديدة.

٤- التحديات والظروف العالمية والمحلية وانعكاساتها على الأسرة:

هذه التحديات تمثلت فى ثورات عديدة من بينها ثورة التكـــنلات

الاقتصادية والاتجاه نحو العولمة بمعناها الشامل وليس الاقتصاد فقط، إضـــافة إلى الثورات التكنولوجية والمعلومات، وثورة الديموقراطية... وغيرها مـــن الثورات التى ارتبط بها ثورة أخرى نفسية لا تقل عمقاً وتأثيراً عن الثورات السابقة، إلا وهى ثورة التطلعات أو الطموحات الكبيرة، فالجميع يتطلع إلى مستويات المعيشة وظروف الحياة فى الدول الأكثر تقدما، ويأمل أن يصل – وبأسرع وقت – إلى المشاركة فى مثل هذه المستويات المعيشية.

وبقدر ما فتحت ثورة التطلعات الأمل نحو المستقبل، بقدر ما أثارت – خاصة فى معظم الدول النامية – الشعور بالإحباط واليأس نتيجة العجـــز عن ملاحقة هذه المستويات العالية لظروف المعيشة.

هذه التحديات وغيرها فرضت على الأسرة والوالدين مســـئوليات عديدة تتعلق بالأنماط أو الأساليب أن ينبغى أن يتبعوها فى تربية الأبنـــاء فى ظل هذه التحديات، وزادت من أهمية ودور الأسرة فى عملية التربية.

ثانيا: الدور التربوى للأسرة فى العصور البدائية:

كانت الأسرة فى المجتمعات البدائية تقوم بمعظم الوظائف التربويـــة، وكان الطفل يتلقى دروسه الأولى فى أسلوب الحياة عن والديه أو من كبـــار العائلة عن طريق المشاهدة والمحاكاة والتقليد، فيذهب الطفل الذكر برفقـــة والده إلى الصيد، ويرى كيف يصيد الحيوانات أو يلتقط الثمار، وكانـــت الطفلة الأنثى تبقى مع أمها فى الكوخ وتتعلم منها كيف تعتنى بشئون إعداد

الطعام والتنظيف وحلب الماشية وجمع الحطب.

ولما كانت الحياة البدائية بسيطة فى مظهرهـا وجوهرهـا كانـت أساليب التربية بسيطة كذلك، وفى هذا يقول بروتن كلارك B. Clark أن أقدم نظم التعليم لم تزد على توعية الأم لابنتها، والأب لابنه وهما يعيشـان معاً ويتحدثان معاً، ويعملان، ويؤكد أنه لم تكن هناك دروس أولية فى العصر الحجرى لكسر الحجر وتهذيبه، ولكن الطفل كان يتعلم ذلـك بملاحظتـه للكبار وتقليدهم.

وهكذا كانت عملية المشاهدة والمحاكاة والتقليـد هـى العمليـة التربوية التى يقوم بها البيت البدائى وشيئاً فشيئاً تطورت الأساليب وتغـير المجتمع وازدياد متطلبات الحياة اليومية، وعندما بدأ الأسلوب الحياتى يتعقد نظرا لتعدد التخصصات وظهور المكتشفات والمخترعات، وبـدأ الإنسـان يفكر فى الظواهر الطبيعية ويتخوفها ويعللها بما أوتى من عقل وما توصـل إليه من مكتشفات، وظهرت بذلك بعض المعتقـدات والأديـان وظهـر بظهورها فئة من الكهنة والعرافين كانوا يقومون بتعليل الظواهر وتفسيرها، عند ذلك بدأت التربية تأخذ طريقها إلى فئة من الناس أوسع من الأسـرة، كما بدأت أساليب ومحتوى التربية فى الأسرة يتغير بتغير هذه الظواهر.

ثالثاً: الدور التربوى للأسرة فى الحضارات الأولى (الحضارة المصرية القديمة):

إن الدارس للوصايا والحكم فى مصر القديمة سيجد أنها قد أعلـت

من شأن دور الأسرة فى التنشئة الاجتماعية والتربوية. وقد تميزت الأسرة المصرية القديمة بعدة خصائص منها:

١- الزواج المبكر:

فحياة المصريين لم تعرف الرهبنة التى عرفت فى الدين المسيحى وكان الزواج عند المصريين عنصراً ضرورياً من عناصر بناء الحياة، ومن الأمور التى لا غنى عنها فى حياة الأفراد، حيث كان بقاء الرجل أعزب أمراً نادراً، وقل أن نجد مقبرة لرجل لم يذكر فيها اسم زوجته أو ترسم صورها إلى جانب صورته على جدرانها، كما أشارت البرديات إلى أنه لم يكن هناك سن محددة للزواج على الرغم من أن المصريين كانوا يفضلون أن يكون الزواج فى سن مبكرة ليتيسر لهم الوقت الكافى لتربية الأطفال كما اعتقدوا أن الزواج المبكر فيه صيانة للشباب وأنه خير حل لمشاكل المراهقة وما ينشأ عنها من عقد وانحرافات فالحكيم "بتاح حتب" يقول لابنه وهو يعظه "يا بنى اتخذ لنفسك زوجة وأنت صغير حتى تنجب لك ولدا تقوم على تربيته وأنت فى شبابك وتعيش حتى تراه وقد اشتد وأصبح رجلا".

٢- كثرة الإنجاب:

أثر عن المصريين منذ عصورهم القديمة شدة الحرص على إنجاب الأبناء وتمنى الكثرة منهم، فالإكثار من الأولاد كان هدفا يبتغون ويسعون إليه ويعملون على تحقيقه وقد كان الشغف الواضح من مختلف طبقات المصريين بإنجاب الأبناء أثراً لثلاثة عوامل رئيسية هى التكوين الاجتماعى

والحرفى الغالب فى مجتمعهم، والشعور بالطمأنينـــة إلى المســـتقبل المعيشـــى (الاقتصادى) الذى كلفته بيئة البلاد من ناحية وروح التدين الغالبـــة مـــن ناحية أخرى، ثم ارتباط سعادة الآخرة لدى المصرى القديم بالولـــد الـــذى يكفل استمرار أداء الطقوس الدينية باسمه بعد وفاته.

وقد أدى حرص المصريين على إنجاب الأطفال، إلى حرص مضاعف على محاربة العقم ومحاولة معرفـــة الســـر فى خصـــب المـــرأة أو عقمهـــا، واستخدموا عدة طرق لتشخيص الحمل ومعرفة جنس الجنين وكـــان مـــن أطرف هذه الوسائل أن ينقع فى بول الحامل قليل من القمح وقليـــل مـــن الشعير، فإذا خرج النبات عموما فهى غير عقيم، فإذا نبت الشـــعير كـــان الجنين ذكراً، وإذا نبت القمح كان الجنين أنثى، ويعلل البعض ذلـــك بـــأن المصريين ظنوا أن البول يتصل بالجنين وأنه يؤثر فيه أو يتأثر به. كما ضمت إحدى البرديات الكثير من الملاحظات لتميز العقيمات من النساء والتكهن بجنس الجنين وكانوا يعتمدون فى ذلك على ملاحظة الثديين أو لون البشرة والعينين ثم على السحر واستخدام التعاويذ.

٣- احترام المرأة وتقديرها:

كانت للمرأة فى مصر القديمة مكانة مساوية للرجل، فلـــها جميـــع الحقوق وعليها جميع الواجبات، فقد كان المصريون أول من آمن برســـالة المرأة ودورها فى المجتمع فقدروها وأعطوها حقوقها ومنحوها جانباً كبيراً من الحرية، كذلك مارست المرأة المصرية الكثير من الحقوق عل قدم المساواة مع

الرجل، فكان لها حقوق الوراثة والشهادة والتمليك والتعاقد وكافة حقوق المعاملات، كما كان مسموحاً لها بالحكم كما هو الحال مع حتشبسوت وكليوباترا، كما اعترف للمرأة فى جميع مراحل حياتها بفضلها وكرم شمائلها، فإيثار المصريين للولد على البنت لم يكن واضحا لديهم وضوحه لدى غيرهم من الشعوب الأخرى، فكما كان يقدم لاسم الابن إذا صور أو مثل مع أبيه بعبارة "ابنه حبيبه" كذلك كان يقدم لاسم البنت إذا صورت أو مثلت معه بعبارة "بنت حبيبته" وإذا صورت مع أمها قيل أنها "بنتها وحبيبتها" وعلى نحو ما كان الأب يحرص على أن يشرك ولده معه فى متعة الصيد كذلك كان يحرص على أن تصحبه بنته أو بناته كما لم يكن يستفاد من البنين وحدهم فى أعمال الحقول وإنما كان يشترك فيها البنات أيضا.

كما كان المصريون القدماء من أحرص الناس على إسعاد زوجاتهم ومعاملتهن بالحسنى وقد عدد الحكيم "بتاح حتب" بعض الواجبات الزوجية فى تعاليمه وأوصى بأدائها قائلا "إذا كنت عاقلا فأسس لنفسك داراً، وأحبب زوجك حبا جما، وآتها طعامها، وزودها بالثياب وقدم لها العطور، لينشرح صدرها ما عاشت، فهى (أى الزوجة) حقل مثمر لصاحبه وإياك ومنازعتها ولا تكن شديداً عليها، فباللين تستطيع أن تمتلك قلبها وأعمل على رفاهيتها ليدوم صفاؤك وتتصل سعادتك"، وكان الزوج لا يتوانى فى بذل كل ما يستطيع من نفقات فى سبيل علاج زوجته إذا هى مرضت، وكان – إذا ماتت – يحيط جنازتها ومدفنها بكل مظاهر التكريم ويقدم

لروحها كل ما يتوهم أنها تشتهى من قربان، وكان حزن الرجل على زوجته يطول ويتجدد كلما ذكر حياتهما المشتركة وسعادتهما التى ولت.

كذلك كان المصريون يدعون إلى حب الأم والعطف عليها والبر بها والإحسان إليها ويذكرون أولادهم بفضل الأم عليهم وبأهمية رضاها عنهم، فمن كلمات الحكيم "آنى" لابنه "ضاعف كمية الخبز التى تقدمها لأمك، احتملها كما احتملتك إنها عندما ولدتك بعد شهور من حملك استمرت تحملك حول عنقها، ثم أعطتك ثديها ثلاث سنوات، إنها لم تتقزز يوما من قذرك إنها لم تقل يوما لم فعلت ذلك، لقد أخذتك إلى المدرسى إلى حيث تتعلم الكتابة وانتظرتك هناك كل يوم ومعها الطعام والشراب الذى أحضرته من المنزل، فإذا ما شببت واتخذت لك زوجا وأصبح لك بيت خاص فلا تنس أمك التى حملتك وزودتك بكل شىء، فإنك إن نسيتها كان لها الحق فى أن تغضب عليك وأن ترفع يديها شاكية إلى الله وسوف يستمع الله لشكواها".

وقد حرص كثير من الأبناء على وضع صور أمهاتهم بجانب زوجاتهم كما كانت فى صور الحياة المنتشرة على صفحات القبور.

ولقد كان للأسرة المصرية القديمة دورا هاما وأساسياً فى التنشئة الاجتماعية لأطفالها. حيث كانت تربية الطفل فى السنوات الأولى لحياته من مهام الوالدين، فكانت الأم هى المسئولة عن تربية طفلها فتطعمه وتنظفه وتحافظ على سلامة صحته وتلقنه الألفاظ الأولى من اللغة وكان دور الأب

فى تربية طفله يظهر بوضوح أكثر عندما يبلغ الطفل الرابعة من عمـره إذ يلقنه أبوه (فى حالة كون الطفل ذكرا) المبادئ السامية والتقاليد المتعـارف عليها وآداب السلوك وحسن التعامل مع الناس، وكان إلى جانب ذلك - إذا كان الأب من أصحاب المهن أو الحرف - فإنه يبدأ فى تعلـيم طفلـه حرفته حتى يتمكن فيما بعد من كسب رزقه.

وقد تمتعت الأسرة بعدة خصائص متميزة، كانت كفيلـة بتنشـئة الطفل تنشئة جسمية عقلية ونفسية هادئة مبسطة، أميل إلى البر فى أغلـب أحوالها، تمثلت هذه الخصائص فيما يلى:

١- الاستقرار الذى يحول دون تبددها ويقلل من مشاكلها فقد كان مـن تعبيرات الزواج فيها لفظ "منى" وهو لفظ يعنى الاستقرار والرسو والثبات. ولذلك جعلت بعض الكتب والبرديات من انفصـال الـزوجين وانعـدام الاستقرار بينهما شرا مستطيرا ففى كتاب لتفسير الأحلام إذا رأى الإنسان فى رؤياه النار تلحق بسريره فذاك شر ويعنى طرد زوجته، على أنه فى حياة المصريين القدماء ما هو أبعد من ذلك دلالة على إيثارهم للاستقرار العائلى وهو أنه حتى فى حالات تعدد الزوجات ومع صعوبة الاستقرار فى بيت يجمع بين زوجتين فإنه من الأمثلة المعروف للتعدد ما يشهد بوفاق غريـب بـين الضرائر فقد تسمى أحداهن بناها بأسماء ضرها، وقد تكون الزوجـة الأولى هو الموصية لزوجها باتخاذ ثانية ابتغاء الخلف، ثم لا تلبث أن تعترف بأبنائها أبناء لها تتورثهم، وتزوج بنتا منهم لأخيها وقد لا تجد الزوجة الأولى بأسـا

من تقبل القرابين من أبناء ضرائرها الخمس كما لو كانوا أبنائها. وقد كان هذا الوفاق الغريب فى صالح الأبناء دون شك.

٢- إيثار الاتزان وغلبة السماحة فى المعاملات الأسرية، وتمثلت صور هـذا الاتزان فى كفالة حق الأبناء جميعهم فى ميراث أبويهم فى معظم الأحـوال، ففى أقدم وصايا التوريث يتضح أنه لا الأم كانت تغلبها العاطفـة فتعطـى ولدا وتحرم الآخر، ولا الأب كان يحرم البنت من بين أخوالها فى حقها مـن ميراثه، وما من شك فى أن الاحتفاظ للأبناء جميعهم بحقهم فى الميراث يمكـن أن ينتج أثرا فى حفظ شخصياتهم وفردياتهم جميعا واضحة، كما تسهم سماحة أفراد الأسرة فى تهذيب النشء.

٤- المكانة الرفيعة للأطفال فى الأسرة:

فقد كان للأطفال فى الأسرة فى مصر القديمة مكانة كبيرة فهم فخر الوالدين تبذل فى تربيتهم كل الجهود لكى يشبوا سـالمين، وكـان تـبكير المصريين القدامى فى الزواج وكثرتهم للإنجاب – كما سبق أن ذكرنا – خير دليل على ذلك.

٥- الاهتمام بالرعاية الصحية للطفل:

وهذه الرعاية كانت تبدأ قبل مولد الطفل حيث العنايـة بالحامـل وتسهيل عملية الولادة وتأمينها من كل خطر ثم ما يجب عمله لوقاية الطفل قبل الولادة كما استمرت تلك الرعاية بعد مولد الطفل خاصة ما يتصـل

منها بإرضاعه وبتبوله وسعاله والوعكات التى تصاحب ظهور الأسنان... وغيرها، كما اهتم القدماء المصريون اهتماما كبيرا بنظافة البدن ظاهره وباطنه من خلال التأكيد على العادات التالية:

أ- غسل الطفل عقب ولادته.

ب- تقصير شعر الطفل.

ج- عادة الختان حيث يقول هيرودوت أن المصريين أول من عرف الختان من شعوب الشرق.

د- التعود على غسل اليدين عند الأكل.

هـ- إيثار التوسط فى الطعام والشراب وهو ما عبر عنه حكيم "خسئ من شره جوفه".

و- الربط بين النظافة وبين التطهير بالنسبة إلى الأسرة بوجه عام كالتطهير من الجنابة وتطهير المرأة بعد الحيض وبعد النفاس وتطهر الكهان قبل قيامهم بالطقوس الدينية.

٦- الاهتمام بأدوات اللعب الخاصة بالأطفال:

حيث كان القدماء المصريين يقدمون لأطفالهم فى سنواتهم الأولى كثيرا من أدوات اللعب، يقدموها هدايا فى المناسبات، وكان الأطفال يفرحون بها أشد الفرح، كما يفرح بها أمثالهم فى كل زمان، وقد عبر علماء الآثار عن كثير من ألوان تلك اللعب منها ما كانوا يحركونه بالخيوط كصور

الأقزام الذين يقومون بالرقص والتماسيح التى تحرك أفواهها ومنها عــرائس صغيرة من الطين أو الفخار أو الخشب لها أذرع أو أقدام متحركة وشخاليل وخذاريف من الخشب وغير ذلك من أدوات اللعب التى وفرت للأطفــال نوعا من المران العقلى وأكسبتهم الخبرة والقدرة على فهم الأشــياء الــتى اتفقت وميولهم فى تلك المرحلة الأولى من مراحل حياتهم.

وكان الطفل إذا اجتاز مرحلة اللعب الانفرادى دخل فى مرحلــة اللعب الجماعى، فالطفل عندما يقوى ويصبح قادرا على السعى إلى أقرانــه فيألفهم ثم يشركهم فى كافة ألوان اللعب وفى ذلك تمــرين علــى العمــل الجماعى من أعمال الجد التى تقتضيها الحياة.

٦- حرص الآباء والأمهات على تعليم أولادهم آداب الســلوك وقواعــد المعاملة وتنشئتهم على القيم الرفيعة وتعليمهم كيف يعيشون مع الآخرين فى جو تشيع فيه المحبة بين الناس.

٧- حرص الآباء والأمهات على توريث مهنتهم ووظيفتهم إلى أولادهــم فالمهن والحرف فى مصر القديمة كانت تنتقل من الأب إلى الابن ومن الابــن إلى الحفيد عبر السنين عن طريق الممارسة والتدريب العملى. حيث كانــت رغبة الأب كغيره فى أن يترك وظيفته لابنه وأن يجلسه من بعده على كرسيه فى منصبه.

وهكذا نرى أن المترل فى مصر القديمة كان بعيدا عن ميادين التربية

المقصودة، تمارس فيه سليمة قوية، يمنحها الآباء أبنـــائهم صـــادقة خالصـــة مرضية قائمة على أسس من صحة البدن ورعايته، ومن صحة العقل أيضـــا يتعهدها الآباء بكل ما يذكيها وينميها من مختلف الوسائل، ثم تقويم النقص بالأخلاق، وما يعلمه النشء من قواعد السلوك وحسن معاملة الغير، وأخيرا بما يأخذ به الأب ولده من إعداد للمهنة والحرفة.

وهكذا فإن الأسرة فى مصر القديمة كانت مؤسسة تتم فيها تربيـــة الصغار وفق مبادئ ونظام معين، أى كانت التربية فى الأسرة تربية مقصودة يتعهدها الآباء والأمهات، وحتى القراءة والكتابة فإنهـــا كانـــت فى بعـــض الأحيان تتم على أيدى الآباء قبل إلحاق أبنائهم بالمدرسة ونستخلص هـــذه الحقيقة من سيرة "آنى" وهو أحد الكتاب فى الأسرة الثامنة عشر (فى العصر الحديث) إذ يقول عن نفسه أنه ذهب إلى المدرسة بعد أن تعلـــم الكتابـــة والقراءة فى دار أبيه.

رابعاً: الدور التربوى للأسرة فى العصور المسيحية:

إذا كانت الأسرة تعد من أهم الوسائط فى أى تربية فإنهـــا تـــزداد أهمية إذا كانت التربية قوامها الدين، وهو ما كان حادث بالفعل بالنســـبة للتربية المسيحية لقد احتلت الأسرة مكانا مرموقا فى الدور التربوى لتكوين الشخصية المسيحية وخاصة فى مصر، فالمصرى ربما أكثر من غـــيره ألصـــق بأسرته وأطوع، ومن هنا كان تأثير الأسرة عليه خطيرا، ونستدل على ذلك بقول أحد رجال الدين المسيحى "إذا كان البعض يعتبر الأسرة نواة المجتمع

وأساس تماسكه فإن الكنيسة تعتبر الأسرة خميرة الإيمان المباركة التى توضع فى ثلاثة أكيال من دقيق لتخمير العجين كله فالأسرة المسيحية هى أساس نمو وبنيان وامتداد كنيسة الله المقدسة، ولا يمكن أن نتصور وجود كنيسة بدون عائلة".

ففى الأسرة المسيحية الأولى كان الطفل يتعلم الفضائل مثل المحبة والصدق والشجاعة والخدمة والتعاون وحسن المعاملة والطاعة والنظام والنظافة وكيفية ممارسة ألوان العبادة المختلفة وكان ذلك يتم بالقوة من والديه ولذلك أوجبت التربية المسيحية على الآباء أن يكونوا قدوة صالحة لأبنائهم، وأن يصادق كل من الأب والأم طفله، فيثق الطفل بوالديه ويتعلم منهم.

والواقع أن الأسرة أو المنزل القبطى قد اتسم بعدة أمور انعكست بصورة واضحة على تنشئة الأبناء وتربيتهم وتمثلت فى:

أ- إكرام المسيحية للطفولة وضرورة اهتمام الآباء بتربية أبنائهم.

ب- إكرام الوالدين وطاعتهم.

ج- استقرار الأسرة القبطية على أسس روحية (منع تعدد الزواج - تحريم انفصال الزوجين إلا بالموت أو الخيانة الزوجية - التبتل .... وغيرها).

د- الاهتمام بالعبادة العائلية حيث كان يوجد فى كل منزل - كما يؤكد يوسابيوس - حجرة تخصص للعبادة تسمى القلاية أو الحجرة المقدسة وفى

هذه الحجرة يمارس كل أفراد الأسرة ألوان العبادة المختلفة مع قراءة كتب الأنبياء وترتيل الألحان والتدريب على الفضائل التى تعد أســاس للســلوك الروحى.

خامسا: الدور التربوى للأسرة فى العصور الإسلامية:

الأسرة – من المنظور الإسلامى – هى البيئة التى يتشــرب منــها الأبناء قيمهم ومعاييرهم ونظرهم فى الحياة فمن الأسرة يأخذ الطفل دينــه فيظل على فطرته مسلما أو يعتنق المسيحية، أو اليهودية أو المجوسية، ولــن يكون هذا وذلك إلا بناء على تعليم الأبوين وتوجيههما، وفى هذا روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من مولود إلا يولــد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".

وفى الأسرة يجد فى الأم الحقن الذى يأوى فيشعر بالأمن والحنــان والحب، وفى الأب يجد المثل والوقاية والمنقذ، وفى الأخوة والأخوات يجــد تلاميذ مدرسة الأسرة الذين يأخذ عنهم ما يحصله من الوالــدين، ولــذلك أحاط الإسلام الأسرة بعناية فائقة، فهى فى الإسلام آية من آيات الله قــرن تكوينها بتكوين العالم أجمع وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ..." الروم آية٢١.

ثم قال: "ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألســنتكم وألوانكم ...." آية ٢٢.

وفى الفقه الإسلامى كلام طويل عن نظامها ورسالتها، فهناك كلام كثير عن كيفية تكوينها "الزواج" وتبادل الواجبات بين أطرافها، (حضـانة الأولاد وأسلوب النفقة وآداب العشرة)، وآثارهـا الروحيـة والخلقيـة، باعتبارها امتداد للنوع الإنسانى وللعقائد والعبادات والأخلاق التى أمر بها الإسلام وقام عليها.

ولقد أكد الإسلام على أن تربية الأبناء من مسـئوليات الأبـوين بحكم واجب الرعاية مصداقا لحديث رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الإمام راع ومسئول عـن رعيتـه، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخـادم راع فى مـال سيده ومسئول عن رعيته، فكلكم راع ومسئول عن رعيته" متفق عليه.

فالأطفال أو الأبناء يمثلون رعية الأب والأم وسيسأل كل منـهما عن تلك الرعية فإما يحفظها وإما يضيعها، ولذلك فمن حق الأبنـاء علـى آبائهم حق التربية والتعلم، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسـلم يوجـه المسلمين إلى تربية أبنائهم وفق منهج الله فيقول "أدبوا أولادكم على ثـلاث خصال حب نبيكم وحب آل بيته وتلاوة القرآن" وقال أيضا "لأن يـؤدب الرجل ولده أو أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع"، كما أمر الرسول بحسن أدبهم وتربيتهم وفى ذلك يروى ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألزموا أولادكـم وأحسـنوا أدبهم" وفيما رواه مسلم والنسائى "علمـوا أولادكـم وأهلـيكم الخـير

وأدبوهم"، ويقول أيضا "مروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النـــواهى فذلك وقاية لهم من النار" رواه ابن جرير وابن المنذر.

وتربية الأبناء وتنشئتهم – من المنظور الإسلامى – علـــى الحـــق والهدى وأثمن وأغلى ما يورثه لهم آباؤهم، بل إن ذلك أبقى وأنفع لهم مـــن المال الزائل والذى قد يكون سببا من أسباب الفساد وفى ذلك يقول الإمام على كرم الله وجهه "ثلاثة هى أفضل ما يورثه الآباء للأبناء الثناء الحســـن والأدب الصالح والأخواف الثقات".

وقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم فى تعلـــيم الأولاد أمثلـــة عملية فى مواقف عديدة منها ما روى عن عمر بن أبى سلمة أنه قال "كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يـــدى تطـــيش فى الصفحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا غلام سم الله تعالى وكـــل بيمينك وكل مما يليك، فما زالت تلك طعمتى بعد".

والتربية فى محيط الأسرة تقوم على عدة مبادئ أكد عليها الإسلام، من هذه المبادئ العطف والحنان، فقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم أن حنان الوالدين وعطفهما وحنوهما على الأطفال هـــو حجـــر الزاويـــة فى تربيتهم، فعن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى وهو حامل أمامه بنت زينب رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى لأبى العاص بن الربيع فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها.

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذنى فيقعدنى على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الآخر، ثم يضمنا ثم يقول "اللهم ارحمهما فإنى أرحمهما".

وعن أبى قتادة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال "إنى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الطفل فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه" فالرسول يختصر القراءة فى الصلاة ولا يطيل إذا سمع بكاء طفل مع أن الصلاة حبيبة إلى قلبه وقرة عينه، فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم فى إحدى الصلوات قرأ فى الركعة الأولى نحو ستين آية، فسمع بكاء طفل فقرأ فى الركعة الثانية ثلاث آيات، وقد بلغ عطف الرسول صلى الله عليه وسلم على الأطفال أنه أنذر من لا يلاطف الأطفال ولا يقبلهم بأنه لن يرحم يوم القيامة.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال أن الأقرع بن جابر أبصر النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال إن لى عشرة من الولد ما قبلت ولدا واحدا منهم فقال صلى الله عليه وسلم "من لا يَرحم لا يُرحم". صحيح البخارى. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: أتقبلون الصبيان؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم "أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة".

ومن المبادئ التى أكد عليها الإسلام فى التربية الأسرية العدل بين الأبناء، لما له من أثر هام وثمار طيبة فى التربية والنشأة، فالقرآن يؤكد العدل

على الإطلاق حتى لو كان على النفس، يقول الله تبارك وتعالى فى محكم التنزيل "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين" النساء: ١٣٥.

كما أكدت السنة المطهرة على ضرورة العدل بين الأولاد فى مواقف متعددة، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "سووا بين أولادكم ولو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء" أخرجه الطبرانى والبيهقى.

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال: أعطى أبى عطية فقالت أمى: عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتنى أن أشهدك يا رسول الله، قال: أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال لا، فقال النبى صلى الله عليه وسلم "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم، قال فرجع فرد عطيته" رواه البخارى.

وفى رواية مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا مبشير ألك ولد سوى هذا قال نعم، فقال أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال: لا، قال: فلا تشهدنى إذا، فإنى لا أشهد على جور".

بل إن الرسول يأمر بالعدل بين الأبناء حتى فى القبل وفى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "اعدلوا بين أبنائكم ولو فى القبل". كذلك يعد جانب

القدوة فى تنشئة الطفل وتوجيهه من الجوانب الهامة فى عملية التربية الأسرية، فالقدوة فى الأب وفى الأم هى أول ما يقع عليه نظر الطفل قبل توجهه إلى الشارع أو المدرسة أو المسجد، القدوة فى أعمالهما وفى أقوالهما وسلوكهما، فتنشئة الطفل على فضيلة الصدق مثلا لابد أن نبدأ بالسلوك والقدوة من الأبوين قبل أن يوجهاه، أو يرشداها إليها، ولذلك حذر الرسول الأم وهى تحاول إسكات طفلها عن البكاء مثلا أو ترغبه فى شىء أو أمر أن تلجأ إلى أن تقول لأطفالها كذبا فيتعودا على ذلك.

فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "من قال لصبى هاك (أى أقبل وخذ شيئا يعده به) ثم لم يعطه فهى كذبة".

وعن عبد الله بن عامر رضى الله عنه قال: دعتنى أمى يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فى بيتنا، فقالت تعال أعطك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردت أن تعطيه؟ قالت أردت أن أعطيه تمرا، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم "أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة".

والواقع أن توفير جانب القدوة فى محيط الأسرة يقتضى من جميع أفرادها أن يكون سلوكهم مطابقا لأقوالهم وتوجيهاتهم، وألا يأمر أحدهم بشيء ويأتى بغيره أو بشيء آخر متناقض له. وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى متعجبا "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ..." البقرة آية ٤٤.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم مؤكدا على أهمية أن يكـون عملنـا مطابقا لعلمنا "شد الناس حسرة يوم القيامة رجلان، رجل علم علما فـيرى غيره يدخل الجنة بعلمه لعمله به. وهو يدخل به النار لتضييعه العمـل بـه، ورجل جمع المال من غير وجهه وتركه لوارثه، فعمل به الخير فـيرى غـيره يدخل به الجنة وهو يدخل النار".

وفى ذلك أيضا لابد أن نذكر قول الشاعر:

يـا أيهـا الرجـل المعلـم غـيره ... هلا لنفسـك كـان ذا التعلـيم

تصف الدواء لذى السقام وذى الضـنا ... كما يصح بـه وأنـت سـقيم

وتـراك تصـلح بالرشـاد عقولنـا ... أبدا، وأنت من الرشـاد عـديم

لا تنـه عـن خلـق وتـأتى مثلـه ... عار عليـك إذا فعلـت عظـيم

ابـدأ بنفسـك فانهها عـن غيهـا ... فإذا انتهت عنه فأنـت حكـيم

فهنـاك يقبـل إن وعظـت ويقتـدى ... بالقول منـك وينفـع التعلـيم

خامساً: الدور التربوى للأسرة فى العصور الحديثة:

الأسرة فى العصور الحديثة – كما كانت فى العصور السابقة هـى الوعاء الذى تتشكل داخله شخصية الطفل تشكيلا اجتماعيا وفرديا هـى بذلك تمارس عمليات تربوية هادفة لتحقيق نمو الفرد والمجتمع ويكون ذلك على النحو التالى:

أولا: الأسرة هى الجماعة الأولى للفرد:

فهى أول جماعة يعيش فيها الطفل، ويشعر بالانتماء إليها، وبــذلك يكتسب أول عضوية له فى جماعة، فيتعلم فيها كيف يتعامل مع الآخرين فى سعيه لإشباع حاجاته، وتحقيق مصالحه من خلال تفاعله مع أعضائها والواقع أن نمط أو شكل عضوية الفرد فى جماعة الأسرة يمتد معه وينعكس فى طريقة ترابطه واكتساب عضويته فى الجماعات الأخرى التى تقابلــه كلمــا ازداد نشاطه، واتسع نطاق تفاعله مع المجتمع، مثل جماعــة اللعــب والجماعــة المدرسية، وجماعات العمل... وغيرها.

إن التنشئة الاجتماعية المبكرة للطفل تكون داخل أســرته، فعــن طريقها يكتسب اللغة والعادات والاتجاهات والتوقعات من طريقة الحكــم على الصحيح والخاطئ وتنسيق حركاته، وأساليب إشباع حاجاته الأساسية كذلك تتشكل أنماط سلوكه وتتطور شخصيته المتمركزة حــول ذاتــه إلى شخصية اجتماعية، ويكون ذلك كله نتيجة الرغبة المتزايدة لدى الطفــل فى اتصالاته بأمه وأبيه وأخوته كأعضاء فى جماعة تشبع له حاجاته وتسهر على راحته، وتوفر له الأمن والطمأنينة والعطف والمحبة والاســتقرار النفســى، كذلك نتيجة لرغبته المتزايدة فى اتصاله بالمخالطين له من أقاربه ومن أبنــاء جيرته.

فمن خلال رغبته فى الاتصال لإشباع حاجاته الجسمية والنفســية والعقلية يتفاعل الطفل مع أعضاء جماعته الأولى، ولكن هذا التفاعــل يــتم

داخل إطار العلاقات الاجتماعية القائمة بين أفراد الجماعة الأسرية، بحيث يكون له أكبر الأثر فى تحديد طبيعة التفاعل ومداه ونتائجه، مما يؤثر بدوره فى تنشئة الفرد وتشكيل شخصيته، ويتشكل إطار العلاقات الاجتماعية على أساس التركيب والتنظيم الاجتماعى للأسرة وأعمار أفرادها ومراكزهم وأدوارهم.

فوضع الطفل ودوره، وملامح شخصيته الاجتماعية تتحدد من خلال إطار العلاقات الأسرية، فهو كعضو فى جماعة يحاول تدعيم عضويته وتأكيد فعاليتها من خلال قدرته على التلاؤم والتكيف مع حياة جماعته على أساس مبدأ تحقيق اللذة وتجنب الألم، ذلك أن عضويته فى جماعة الأسرة تسبغ عليه السرور من خلال المزايا الكثيرة الموروثة فى الحياة الأسرية والمتصلة بإشباع حاجاته وتحقيق رغباتهن كذلك فهى تحد من أنانيته من خلال الضغط عليه للتنازل عن بعض مطالبه.

والطفل بين هذا وذاك تتجاذبه أنواع العلاقات وتؤثر فيه إما إيجابيا أو سلبيا، فالعلاقة بين أمه وأبيه قد تكون علاقة أساسها المحبة والتفاهم، فيتأثر بها الطفل تأثيرا إيجابيا يحدث له السرور والاستقرار النفسى، وقد تكون علاقة أساسها النفور وسوء التفاهم فيتأثر بها الطفل تأثيرا سلبيا ينعكس فى ضيقه وقلقه النفسى، وحركاته العصبية وميوله العدائية.

كذلك تؤثر العلاقة القائمة بين أخوته عليه تأثيرا مباشرا، فقد يكونون متعاطفين متعاونين مع بعضهم البعض، ويكونون كذلك بالنسبة إليه

فيحيطونه بالمحبة والرعاية وعندئذ يسعد الطفل فى حياته، ويكتسب المعنى الصحيح لأخوته، وقد تكون العلاقة بين الأخوة وبعضهم علاقة أساسها الغيرة والخصام بسبب التباين فى الجنس أو فى السن أو بسبب تشرب روح العداء والنفور بين الأم والأب، فينعكس ذلك كله على الطفل فتضطرب حياته العاطفية والنفسية والصحية.

إن اختلاف أنماط العلاقات بسبب السن والجنس والمركز والدور الاجتماعى لأفراد الأسرة، ينعكس فى أساليب الاتصال بينهم. وفى مقوماته وهو ما ينعكس بدوره على تربية الطفل وسلوكه داخل الأسرة وخارجها فيما بعد، فهناك الاحترام القائم على أساس السن، إذ أن كبر السن يكون رمزا للدراية والخبرة والحكمة، ولذلك نجد أن الجد أو العم الطاعن فى السن يكون مصدرا للفتوى وملجأ لفض النزاع الذى يتحكم بين أفراد الأسرة أو بين الأسرة وغيرها من الأسر، وهناك الاحترام بصفة عامة للذكور من أفراد الأسرة أكثر منه للإناث من أفرادها، وهناك الاحترام القائم على أساس المركز الاجتماعى كالأب الذى تتمثل فيه السلطة والنفوذ بأبعاده الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهناك التعاطف بين الأم وأبنائها وبناتها – الذى قد تختلف درجته باختلاف السن والجنس لديهم، وأخيرا هناك العلاقة بين الأسرة كجماعة والأسر المجاورة لها تلك العلاقة التى تؤثر فى تنشئة الطفل وتربيته.

ثانيـاً: الأوضـاع الاقتصـادية والاجتماعيـة والثقافيـة والدينيـة والترويحية للأسرة وأثرها فى تربية الطفل:

للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية للأسرة أثرها الواضح على تربية الطفل وتنشئة، فالوضع الاقتصادى للأســرة يــؤثر فى تنشئة الأطفال وتربيتهم، فالحياة السهلة الرغدة تفى بالحاجات اللازمة هــم من مأكل وملبس بمتع الحياة المختلفة، ومنها المتعة العلمية والتكنولوجية عن طريق توفير الأجهزة الحديثة كــالتليفزيون والراديــو والكمبيــوتر ..... وغيرهم. وكذلك اللعب المختلفة والسلع مما يثرى الحياة العقلية والنفســية والاجتماعية الأسرية، بينما تتسبب الحياة القاسية الناتجة عن الفقر وشظف العيش فى وجود الإحساس بالحرمان، وما يترتب عليه من أنــواع الحقــد والكراهية والعزلة الاجتماعية.

وبالنسبة للوضع الاجتماعى للأسرة، فإن التركيــب الاجتمــاعى للأسرة تبعا لأعمارهم ومراكزهم وأدوارهم يحدد بالتــالى وضــع الطفــل ودروه فى هذا التركيب، وهناك الطفل الذكر والطفلة الأنثى وهو كواحــد من هؤلاء يحدد علاقته مع أفراد جماعته فى ضوء نظرقم إليــه، واتجاهــاقم نحوه، وتوقعاقم منه وآمالهم عليه، وقد تكون جميعها مــن منطلــق الرضــا والابتهاج به أو من منطلق السخط عليه والتبرم بوجوده، ويؤثر بــدوره فى إحساسه بقوة عضويته وفى شعوره بروح الجماعة وآية ذلك هــى مــدى اندماجه وتجاوبه أو عزلته وانطوائه.

كذلك يؤثر الوضع الثقافى والتعليمى للأسرة فى تنشـئة الأطفـال وتربيتهم، فمستوى التفكير وطرقه الشائعة بين الأسرة، والميـل للقـراءة والإطلاع سواء أكان فى الكتب أو الصحف والاستماع إلى الإذاعة وتذوق برامجها، والجلوس حول التليفزيون ومشاهدة برامجه والتعليق عليها، وغـير ذلك من ممارسة الأنشطة الثقافية كالذهاب إلى السـينما، والاشـتراك فى المحاضرات والندوات والتعرف على التغير والتطـور الاجتمـاعى المحلـى والعالمى، وآثاره ونتائجه كل ذلك يؤثر فى تنمية الوعى الثقافى لدى الأفراد ويعمل على نموهم نما هادفا يعينهم على سرعة التكيف مع الحياة.

أما بالنسبة للوضع الدينى فإن القيام بالعبادات والتمسك بالشعائر والتحلى بالخلق الحسن فى القول والعمل، والأخذ بالقيم الإنسانية الفاضلة التى تدعو بحب الخير وكره الشر وغرس الاتجاه التعاونى بين الناس والحرص على مصالحهم والكف عن إيذائهم، إن ذلك كله، يدركه الطفل ويحسه من خلال تفاعله مع جماعاته المتدينة فينمو على نحو يمارس فيه العمـل ويحكـم ضميره الذى نما فيه إطار دينى وخلقى سليم فى جميـع مواقـف الحيـاة فى المجتمع بينما ينمو الطفل فى اتجاه مخالف إذا نشأ فى جماعة تهتز فيهـا القـيم الدينية والمعايير الخلقية السليمة وتنمو معه بذور الشر والانحراف الخلقـى الذى تنعكس آثاره فى مواقف الحياة فى المجتمع.

ثالثاً: الأسرة ودورها فى مواجهة المشاكل التربوية لأطفالها:

يتضح دور الأسرة فى مواجهة المشاكل التربوية فى مرحلة الطفولة فيما

يلى:

أ- تلبية مطالب وحاجات الطفولة:

إن للطفولة مطالب خاصة بها يجب على الأسرة أن تدرك أهميتـــها وتستجيب لها بحكمة كى توفر للطفل نموا سليما متزنا دون اضـــطراب أو شذوذ فالجو الذى تعيش الطفولة بما فيها من لعب وسعادة بريئة وبعد عـــن الانشغال بمتاعب الحياة والإحساس بمشاعر الطفولة النابعة من حماية الكبار ورعايتهم يجب أن يكون موفورا للطفل.

فالآباء الذين يتعجلون نمو أطفالهم ويرون فيهم أشخاصا كبارا قبل الأوان ويحملونهم المسئوليات بما لا يتفق وأعمارهم، إنما يسيئون إلى أطفالهم عن طريق حرمانهم من سعادة الطفولة، ومن فرص النمو التدريجى الســـليم. ذلك أن لكل مرحلة من مراحل النمو أعراضا جسيمة وخصائص نفســـية وعقلية تنعكس جميعها فى سلوكه وتفاعله مع أفراد الأسرة. فهناك مرحلـــة الطفولة المبكرة التى تتسم بحب الذات والأنانية ولذة التملك، وهناك بعـــد ذلك المرحلة التى يرغب فيها الطفل الاختلاط بأبناء جيرته فى جماعة اللعب، وهناك مرحلة المراهقة التى يعتز فيها الفرد بنفسه وبآرائه، ويجاهد من أجـــل الانخراط فى مجتمع الكبار الناضجين وهكذا نجـــد أن للانتقـــال المتـــدرج المتداخل الذى يتعرض له الطفل فى مراحل نموه، آثاره الكبيرة على الطفـــل وعلى العملية التربوية التى يتعرض لها المسئولين فى الأسرة.

إن ميل الطفل للعب والعبث قد يبدو أمرا مزعجا لبعض الآباء ولكن البعض الآخر يرى أن فى ذلك النشاط تعبيرا عن طاقات زائدة فيسعون إلى توجيهها فيما يفيد الطفل وصحته البدنية والعقلية والنفسية. فهناك التدريبات الرياضية البدنية، والتدريب على اكتساب المهارات اليدوية، وتفريغ الشحنات الانفعالية فى التعبيرات الفنية والجمالية سواء عن طريق الرسم أو الأشغال الفنية أو التعبيرات الحركية الإيقاعية. إن الطفل فى لعبه يعبر عن ميوله وقدراته لذلك يجب أن تتكشف هذه الميول والقدرات، ونعمل على تنميتها نموا سليما.

وتبعا لذلك، فإن الطفل يجب أن يأخذ حريته فى الحركة واللعب حتى لا يحرم من فرص النمو الجسمانى والعقلى والنفسى، بشرط أن تكون هذه الحرية حرية إيجابية فعاله، يحس أثرها ويقتنع بها الصغير والكبير فى الأسرة أن توفير بعض اللعب وأدوات الرسم والأشغال الفنية صحية لنمو صحى.

ب- تعويد الطفل الاستقلال والاعتماد على النفس:

من المعروف أن النمو الصحيح للطفل هو الذى يساير واقع الحياة تلك الحياة المليئة بالمشاكل والمواقف التى تستلزم الكفاح والصراع والتكيف.

وأساس ذلك هو الاعتماد على النفس، لذلك فإن الدور التربوى

للأسرة يكون صحيحا حين يكفل للطفل مواجهة واقع الحياة بصعابها وتعقيداتها ولاسيما فى عصرنا هذا الذى تضطرب فيه الحياة الأسرية نتيجة للتغير الاجتماعى والاقتصادى والتطور العلمى والتكنولوجى، إن تربية الطفل وأعداده لحياة تتطلب منه الجهد والمنافسة الشريفة، هى عملية واجبة على الآباء والأمهات لذلك يجب عليهم ألا يتمادوا فى تدليل الطفل وأن يضعوه فى المواقف التى تستلزم منه بذلك الجهد وتحمل المسئولية والاعتماد على نفسه، كى يتزود بأهم ضمانات النضج والنمو.

ولا داعى لقلق الأم على ابنها الذى يلعب مع أقرانه، ويخشى عليه من عنفهم معه. أو إذا رغب فى أن يلبس ملابسه دون مساعدتها أو إذا رغب فى تجهيز طعامه، وترتيب أدواته وحجرته. إن هذه المواقف البسيطة تغرس فيه اتجاه الاعتماد على النفس فى مواجهة المشاكل وإيجاد الحلول لها. كذلك تنمى عنده القدرة على المبادرة فى عمل الاتصالات وإبداء الآراء وحسم الأمور دون تردد أو اللجوء إلى الغير للاستعانة برأيه وليس معنى ذلك دفع الطفل إلى الاستقلالية الكاملة. فإن فى ذلك خطورة تتمثل فى تنمية اتجاه الغرور والاعتزاز الزائد بالنفس. وعدم تقدير رأى الغير، والتعاون مع الآخرين.

ج - المساواة فى معاملة الأبناء:

إن صعوبة الدور التربوى للأسرة تتمثل فى ضبطها لنفسها ولأهوائها التى قد تدفع بها إلى عدم المساواة فى التعامل مع أبنائها. وبالتالى

لا يتكافأ مقدار الحب والعطف الذى يناله الأبناء. وعندئذ تتحرك مشاعرهم وفقا لما يحسونه من ظلم أو عدل ويستجيبون وفقا لمشاعرهم وأحاسيسهم استجابات تتسم بالتمرد أو الخضوع أو الحقد والغيرة أو الاستعلاء أو بالرضا والسعادة، فهناك الأب الذى يتعاطف مع ابنه والأم التى تتعاطف مع ابنتها. وهناك الأسرة التى تتعاطف مع الطفل الذكر وتهمل الطفلة الأنثى، وغير ذلك من مظاهر التفرقة فى المعاملة مع الأطفال بسبب تفوق واحد منهم على الآخرين فى الدراسة، فيكون محل تقدير زائد. إن التشجيع للمتفوق واجب بقدر، كذلك فإن الأخذ بيد الضعيف واجب. أن تبصر الفروق الفردية بين الأخوة من حيث التقديرات والاستعدادات العقلية والبدنية والنفسية أمر لازم إذا أردنا.أن نحدث نموا تربويا سليما.

وتظهر التفرقة أيضا فى معاملة الأطفال عندما يخطئون: فالجزاء الذى توقعه الأسرة على الطفل المخطئ يجب أن يكون قائما على تقدير موضوعى للموقف ونتيجته وليس قائما على أساس عاطفى يتفاوت بين طفل وآخر.

هـ- مساعدة الطفل على حب المدرسة والانتظام فيها:

إن هروب الطفل من المدرسة وانقطاعه عن متابعة الدراسة، يشكل مشكلة تربوية كبيرة أمام الأسرة، مما يدفع ببعض الآباء إلى اتخاذ حلول غير صحيحة فتزداد المشكلة صعوبة وتأخذ أبعادا أخرى. وهناك عوامل كثيرة تدفع بالتلاميذ إلى الهروب من المدرسة. منها العوامل التى تتصل بالمنزل

والتى تتمثل فى عدم تهيئة البيت لجو الاستذكار والإطلاع وانشغال الطفــل فى أعمال الأسرة كأن تساعد البنت أمها فى أعمال المنزل وأن يشارك الولد فى أعمال الأب المتصلة بكسب عيشه، أو وجود حياة أسرية مضطربة تحول دون الاستذكار والتحصيل، كذلك فإن هناك عوامل أخرى تتصل بالبيئات الاجتماعية التى يحتك بها الطفل وتستهويه وتجذبه من الدراسة إلى مجــالات اللهو، والذهاب إلى السينما أثناء اليوم المدرسى.

وهناك عوامل أخرى تتصل بالبيئة المدرسية مثل النظــام المدرســى وأثره على الطفل. فقد يكون نظاما صارما جامدا يستند إلى العنف والقــوة وتوقيع العقاب كوسيلة علاجية. وقد يكون النظام سائبا متراخيا خاليا مــن الرقابة والضبط مما يشجع على وجود الفوضى والهروب من المدرسة ذلــك أن الطفل فى دور تكوينه يغلب عليه الأخذ بمبدأ اللذة وتجنب الألم أى أنــه يرغب فى إشباع رغباته دون اعتبار للواقع وضغوطه الاجتماعية والحضارية التى قد تحد من هذا الإشباع. وهناك عوامل ذاتية تتصل بالطفل ذاته. فقــد تمكنه قدراته واستعداداته العقلية من متابعة الدروس، مما يسبب له حرجا بين زملائه. وانطلاقا من كراهيته للفشل. وارتباط الفشــل بــالجو الدراســى والمدرسة، فإن المدرسة تمثل خبرة مؤلمة غير سارة بالنسبة إليه مما يدفعــه إلى البحث عن خبرة سارة فى مكان آخر غير المدرسة.

وهكذا نجد الكثير من العوامل والأسباب لظــاهرة الهــروب مــن المدرسة لذلك فإن دور الآباء يتمثل فى الكشف عن هذه العوامل ووضــع

العلاج المناسب ولما كان ذلك يتطلب قدرا من الدراية والخبرة فى النـــواحى النفسية والاجتماعية، فإن عليهم الاستعانة بالأجهزة الفنية المتخصصة مثـــل مكاتب الخدمة الاجتماعية المدرسية أو مراكز توجيه الطفولة أو العيـــادات النفسية.

هـ- البعد عن التحكم أو التدخل الصارم فى اختيار نوع تعليمهم ودراستهم:

إن كثير من الآباء يدفعهم حرصهم على نجاح أبنـــائهم فى حيـــاتهم الدراسية وما بعدها، إلى التدخل والتحكم فى اختيار نوع الدراسة والعمـــل الذى يشغله الأبناء بعد تخرجهم. ولعلنا نلمس هذه الظـــاهرة بوضــــوح فى وقتنا هذا بعد تغير نظامنا الاجتماعى، وانفتاح مجالات التعليم بالمجان، وكثرة عدد المتعلمين ووجود مكاتب التنسيق للقبـــول علـــى أســـاس مجمـــوع الدرجات. ولعل الدافع لتدخل الآباء هو تطلعهم إلى مستوى أفضل لحياتهم وحياة أبنائهم وخاصة بعد أن أصبح التعليم عاملا هاما من عوامـــل النمـــو والصعود فى السلم الاجتماعى بعد أن كان الصعود قاصرا علـــى عامـــل الملكية الكبيرة للأرض أو العقار أو المصانع.

إلا أننا نناشد الآباء أن يكون تدخلهم فى اختيار الدراسة لأبنـــائهم قائما على أساس تفهمهم لمستوياتهم الدراسية واستعداداتهم وميولهم. فقـــد يكون الابن من ذوى القدرات والميول العملية. وعندئذ يكـــون موفقـــا فى دراسته أو أنه اتجه إلى التعليم الصناعى. وما عيب التعليم الفـــنى المتوســـط

حتى يحجم عنه التلاميذ ويتكدسون فى التعليم الثانوى بغية الوصول إلى التعليم الجامعى، طالما أن التعليم الفنى يمكن خريجه من الالتحاق بالجامعة.

إن كثيرين من الطلبة لا يحصلون على المجموع الذى يمكنهم من الالتحاق بالجامعة وعندئذ تخيب آمالهم ويضطرون لدخول مراكز التدريب المهنى كتعليم فنى ويكون دخولهم فى هذا النوع من التعليم دخولا اضطراريا.

إن ذلك كله يرجع إلى تطلع الآباء وتوقعهم الكثير من أبنائهم دون تقدير لمستوياتهم وقدراتهم وميولهم الدراسية. كذلك ينطبق القول على الوضع عند الالتحاق بالجامعة وتسجيل الرغبات. فتتدخل الآباء وتحدد الكلية التى سيدرس فيها الطالب دون أخذ رأيه ومراعاة ميوله واتجاهاته، فقد يفرض الأب رغبته على ابنه ويختار له كلية الطب لأنه يرغب أن يكون له ابن يعمل طبيبا، بينما يكون الابن راغبا أن يكون مهندسا، وهكذا يضغط الأب ويستجيب الابن، ويتعثر فى دراسته، لذلك نناشد الآباء ونبصرهم بأهمية التعرف على المستويات العقلية والميول والاستعدادات والاتجاهات الدراسية لأبنائهم، كما يمكنوهم من الدراسة التى تتفق وهذه المستويات والاستعدادات كى يكون التعليم مثمرا لهم من ناحية وكي لا يمثل فاقدا كبيرا فى العملية التعليمية على الدولة من ناحية أخرى.

الفصل الثانى

تكافؤ الفرص التعليمية ، المفهوم ، ومظاهر التطبيق فى عصور الازدهار الإسلامى

تكافؤ الفرص التعليمية، المفهوم، ومظاهر التطبيق فى عصور الازدهار الإسلامى

مقدمة

نال موضوع تكافؤ الفرص التعليمية – وما زال – اهتمام العديد من الباحثين والمهتمين بشئون التربية والتعليم من حيث تحديد مفهومه وجوانبه الأساسية التى يشملها وكيفية تطبيقه، والمعوقات التى تحول دون تحقيق ذلك، فلو فحصنا المفاهيم والقضايا المرتبطة بالتربية، سنجد أنه ما من مفهوم أو قضية جذبت اهتمام المشتغلين بالتربية والاجتماع التربوى وشغلت تفكيرهم خلال القرن العشرين، مثلما حدث بالنسبة لهذه القضية.(١)

وإذا كان البعض يعتقد أن مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية هو أحد ثمار الثورات والحركات المعاصرة، وانتشار المبادئ الديمقراطية انتشارا كبيرة بعد الحرب العالمية الثانية، وسعى الدول جميعا لتحقيق هذه المبادئ، فإن الدراسة المتعمقة تشير إلى أن لهذا المبدأ جذوره التاريخية العميقة، حيث تناوله كثير من الفلاسفة والمفكرين عبر عصور التاريخ المختلفة، بدءا من أفلاطون – حيث جعل المرحلة الأولى فى نظامه التعليمى من ٧ – ١٨ سنة عامة لجميع الأفراد كما أنه لم يفرق بين المرأة والرجل.(٢) ومرورا بأرسطو وكونيتليان، والقديس أغسطين والإمام الغزالى، وانتهاءا بجون ديوى وطه حسين وغيرهما

من المربين والفلاسفة المعاصرين. فقضية تكافؤ الفرص التعليمية تعد من القضايا القديمة والمتجددة باستمرار، فهى إن كانت ترتبط بحق الإنسان فى التعليم باعتباره حقا من حقوقه الأساسية، غير أن مفهوم وأبعاد تكافؤ الفرص التعليمية نفسه يتطور باستمرار، ويتطلب تغييرات فى نظم التعليم.(٣)

ومن ناحية أخرى فإنه إذا كانت الدول المتقدمة قد سبقت غيرها فى تبنى هذا المبدأ محاولة تطبيقه، فإن الدول النامية – ومن بينها مصر – ما لبثت أن اتخذ نفس المسار خاصة خلال النصف الثانى من القرن العشرين، ولكن برغم الجهود التى بذلتها وتبذلها حكومات تلك الدول فى محاولاتها تطبيق هذا المبدأ فإنها تواجه مشكلات من طبيعة تربوية واقتصادية واجتماعية وسياسية، ويرجع جانب كبير من هذه المشكلات إلى سوء فهم بعض القائمين بالعملية التعليمية – خاصة فى المجتمعات النامية. بل وبعض أفراد المجتمع، لمفهوم تكافؤ الفرص التعليمية ومستوياته، والقضايا المرتبطة به، وكيفية تطبيقه.(٤) الأمر الذى يتطلب ضرورة دراسة هذا المفهوم وأبعاده المختلفة، ومحاولة الاستفادة من التجارب السابقة، أو التجارب المعاصرة فى دول أخرى حققت تقدما كبيرا فى مجال تحديد مفهوم وأبعاد كيفية وتطبيق هذا المبدأ. ومما تجدر الإشارة إليه أنه انطلاقا من أهمية قضية تكافؤ الفرص التعليمية فقد تناولتها دراسات عديدة من جانب المتخصصين فى مجال التربية حيث سعت بعض هذه الدراسات إلى تحليل وتفسير مبدأ

تكافؤ الفرص التعليمية لتوضيح جوانبه المختلفة، والمسارات التى يمكن تطبيقه من خلالها، وإن كان ذلك قد تم اعتمادا على أيديولوجيات ومصادر أجنبية غربية أو شرقية،(٥) فى حين تناولت دراسات أخرى جانب أو جوانب محددة من هذا المبدأ كمجانية التعليم أو سياسة القبول – مثلا،(٦) واهتمت دراسات ثالثة بواقع تطبيق هذا المبدأ ما له وما عليه فى المجتمع المصرى، وما يجب القيام به لسد الثغرات بين الفكرة والتطبيق، هذا بالإضافة إلى الدراسات التى تناوله من زاوية مقارنة من خلال المقارنة بين واقع ووسائل تحقيق هذا المبدأ فى دول مختلفة من بينها مصر.(٨)

وإذا كانت الدراسة التحليلية لمبدأ تكافؤ الفرص ضرورية، والدراسة الواقعية له أكثر ضرورية وكذلك الدراسات المقارنة للاستفادة من تجارب الدول الأخرى فى مجال تطبيقه، فإنه استكمالا لدراسة هذا المبدأ الهام يتطلب الأمر ضرورة الرجوع إلى تراثنا التربوى الإسلامى نحاول أن نستلهم تجاربه وخبراته فى مجال تطبيق هذا المبدأ ومدى إمكانية الإفادة منها فى إصلاح جوانب القصور فى نظامنا التعليمى خاصة ما يتعلق منها بمتطلبات تطبيق هذا المبدأ، وجوانبه المختلفة.

والواقع أنه مع وعينا الكامل بأن لكل عصر قواعده وقوانينه وظروفه، مما يوجب الحرص فى استخدام مصطلحات العصر الحديث تفسيرا لأحداث وقعت فى العالم العربى والإسلامى منذ قرون عديدة، أو أخذ بعض تجارب فى عصور سابقة لحل مشكلات تربوية معاصرة، خاصة وأن هناك

متغيرات تربوية عالمية قد حدثت فى معظم جوانب التربية، إلا أننا فى الوقت نفسه نشعر بقدر غير قليل من حرية الحركة عندما نكون بإزاء مبدأ إنسانى يستطيع أن يقف عليه كل دارس للتاريخ البشـــرى فى أى زمـــان وفى أى مكان.(٩)

كما أن تلك المتغيرات التى حدثت فى مجال التربيـــة، لا يمكـــن أن تقلل من أهمية دراسة التراث التربوى الإسلامى عند دراسة بعض المفـــاهيم والمشكلات التربوية المعاصرة، خاصة فى عصور ازدهار الحضارة الإسلامية، فهذا التراث يشتمل على آراء عديدة فى مجال التربية والتعلـــيم، وتجـــارب سابقة استطاع المسلمون الأوائل من خلالها إعداد إنسان جديد أقام حضارة عالمية ما زال العالم يقف أمام أعلامها وفلاسفتها وعلمائها وأدبائها شـــاعرا بالفضل لها،(١٠) هذه الحضارة كان من أهم دعائمهـــا التربيـــة بمفاهيمهـــا ومؤسساتها ونظمها، فلقد كانت التربية هى السبيل الذى سلكه محمد صلى الله عليه وسلم لإحداث أعمق تغير أيديولوجى عرفـــه التـــاريخ فى نفـــس الإنسان، بل استطاع من خلالها أن يربى رجالا قضوا فى سنوات قليله على معاقل الشرك والوثنية فى مكة المكرمة، وأقاموا للإسلام دولة حلـــت محـــل أكبر إمبراطوريتين فى ذلك الوقت وهما الفرس والروم، كل ذلك فى أقل من ثلث قرن من الزمان.(١١)

ومن ناحية أخرى فإن الدعوة إلى الاهتمام بتراثنا التربوى قـــراءة ودراسة تتواكب مع الاتجاه العالمى السائد حاليا، والذى يدعو إلى ضـــرورة

الاهتمام بثقافة الشعوب الخاصة وعدم دمجها بالكامل فى تيــار الثقافــات المستوردة وهو اتجاه تبناه اليونسكو فى السنوات الأخيرة وخاصة مجلتيهــا الدوريتين "رسالة اليونسكو" الثقافات وتبناه - أيضا - المؤتمرات التربوية المنعقدة فى معظم البلدان العربيــة والإســلامية، ومثيلاتهــا مــن الــدول النامية.(١٢)

مشكلة الدراسة:

فى ضوء ما سبق تتحدد مشكلة الدراسة الحالية فى محاولة الإجابــة عن الأسئلة التالية:

١- ما معنى تكافؤ الفرص التعليمية، وما الأركان الرئيسية التى يقوم عليها؟

٢- ما أهم مظاهر تكافؤ الفرص التعليمية فى تراثنا التربوى الإسلامى؟

٣- ما أهم الجوانب التى يمكن الاستفادة منها فى مجال تطبيق مبدأ تكــافؤ الفرص التعليمية فى وقتنا الحالى؟

هدف الدراسة:

تسعى الدراسة الحالية إلى التعرف على بعض مظاهر تكافؤ الفرص التعليمية فى التراث التربوى الإسلامى، وكيفية الاســتفادة مــن ذلــك فى تشخيص بعض المشكلات فى مجال تطبيق هذا المبدأ، وفى البحث عن حلول هذه المشكلات.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة فى النواحى التالية:

١- إنها تتناول قضية من أهم القضايا التربوية، والتى أثارت ومازالت تثير كثيرا من الجدل والحوار حول تحديد مفهومها، وأبعادها وجوانبها المختلفة، ومشكلات تطبيقها فى الواقع التعليمى المصرى.

٢- أنها تبحث عن مظاهر تكافؤ الفرص التعليمية فى عصور الازدهار الإسلامى، والتى شهدت أيضا نهضة تربوية، وأسهمت فى تربية رجال كانوا ومازالوا نماذج فريدة، الأمر الذى يمكن أن يساعد فى الاستفادة من بعض جوانب هذه النهضة، فى إصلاح بعض مشكلات واقعنا التعليمى.

خطة الدراسة:

فى ضوء الأسئلة السابقة سارت خطة الدراسة وفق ثلاث خطوات على النحو التالى:

أولاً: معنى تكافؤ الفرص التعليمية وأركانه الأساسية:

اختلف الآراء والتفسيرات حول معنى تكافؤ الفرص التعليمية، نظرا لتعدد جوانبه وأبعاده، كما قد يرجع هذا الاختلاف إلى ارتباط هذا المبدأ بالفلسفة الخاصة بكل دولة، أو بطبيعة النظام السياسى بها، هذا

بالإضافة إلى أن هذا المبدأ أقرب إلى النظرية منه إلى وصف واقع حقيقي، فتكافؤ الفرص التعليمية لا يقصد وصف حالة حقيقية وإنما يجب أن يكون.(١٣)

فتكافؤ الفرص التعليمية يعني – عند البعض – توفير فرص تعليمية متكافئة لكل فرد بما تسمح به استعداداته وقدراته بصرف النظر عن المستوى الاقتصادى الاجتماعي، بمعنى أن يستطيع كل فرد أن يجد الفرص التعليمية المناسبة لميوله واتجاهاته، وأن يتعلم إلى أقصى حد تؤهله له قدراته واستعداداته بصرف النظر عن وضعه الاقتصادى أو الاجتماعي أو الديني أو كونه ذكرا أم أنثى،(١٤) هو ما يتطلب تنوعا فى مراحل التعليم وشعبه وتخصصاته، مع تحقق مجانية لهؤلاء الذين تسمح لهم قدراتهم بمواصلة التعليم والاستفادة منه.

ويرى البعض الآخر أن تكافؤ الفرص التعليمية لا يعنى فقط المساواة فى حق التعليم لكل الأفراد بل الأهم من هذه المساواة، هو المساواة فى الفرص التى تمكن الطالب من التخرج والنجاح،(١٥) فتكافؤ الفرص فى التعليم يتضمن بالإضافة إلى التكافؤ فى فرص القبول والالتحاق، تكافؤ فى فرص الاستمرار فيه والنجاح والتحصيل والإنجاز، فلا خير من إتاحة فرص متساوية فى مرحلة من مراحل التعليم بدون توافر المدخلات التى تمكن التلاميذ من النجاح والاستمرار فى الدراسة والاستفادة مما يقدم لهم من خبرات.(١٦)

وتضيف مجموعة ثالثة من الباحثين بعدا جديدا فى تحديد معنى تكافؤ الفرص التعليمية يتمثل فى المساواة فى فرص العمل بعد التخرج، بما يجعل من التعليم وسيلة للتخلص من العوائق الاقتصادية والجغرافية والاجتماعية التى تمنع القادرين ذهنيا من بين فئات الدخل المحدود فى المجتمع من الاستفادة من قدراتهم على التعلم بما يؤهلهم للترقى الاجتماعى.(١٧) فعدم اطمئنان الفرد على هذا الجانب يقلل بدرجة كبيرة من إقباله على التعليم.(١٨)

ومما تجدر الإشارة إليه أن الفرصة التعليمية لا تعنى التعليم فى المدارس على اختلاف وأنواعها فقط، إنما تشمل أيضا ألوان البرامج التعليمية والتدريبية المنظمة أثناء العمل وقبله، أى كل تلك الأنشطة التى تقع فى مجال ما يسمى بالتربية غير المدرسية أو التعليم غير الرسمى، مثل أنواع البرامج التدريبية للعمال والفلاحين، وبرامج التدريب التجديدية للعاملين فى مختلف القطاعات والبرامج الإضافية التى تقدمها بعض الجامعات لأفراد البيئة المحلية وخريجيها، وكذلك من الفرص التعليمية والتربوية – أيضا – ما يشمل ألوان التربية غير المقصودة الموجودة فى المجتمع، والتى تشمل الكتب والصحف والمجلات بأشكالها المتعددة، والأفلام والبرامج الإذاعية والتلفزيونية ذات الأهداف التربوية، وهى تشمل فوق كل هذا أنواع الخبرات التعليمية التى يحصل عليها الأفراد فى بيئتهم الاجتماعية عامة وفى محيط الأسرة والبيت على وجه الخصوص.(١٩) كما أن مفهوم التكافؤ لا يعنى التماثل على الإطلاق أى أن تكون فرص التعليم التى تتاح لكل فرد

هى نفس الفرص التى تتاح لأى فرد آخر فى نوعها ومداها ومقتضياتها، وإنما يعنى هذا التكافؤ أن تتاح للتلاميذ أن يبدءوا فرصهم التعليمية من خط واحد، وأن يتم تقدمهم ونموهم بعد ذلك حسب جهودهم فى التحصيل وطاقاتهم على النمو، بمعنى أن يتاح لأرباب القدرة المتشابهة – بصرف النظر عن انتمائهم الطبقى أو وسطهم الاجتماعى أو بيئتهم الجغرافية – أن يتمتعوا بنفس الفرص من التعليم فى مضمونه ومداه.(٢٠)

مما سبق يتضح أن تكافؤ الفرص التعليمية يعنى أن يكون لكل فرد فى المجتمع فرصة متكافئة مع غيره فى الالتحاق بالتعليم – النظامى وغير النظامى وكل ألوان التربية غير المقصودة – والاستمرار فيه بقدر ما تؤهله قدراته واستعداداته العقلية وميوله وجهده الذاتى، وأن يحصل على نصيب متكافئ من الخدمات التعليمية التى تقدمها حكومته، وإلا يعوقه أى عامل خارجى من الحصول على هذه الفرصة – سواء تعلق العامل بظروف التعليم الداخلية أم تعلق بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والأسرية فى المجتمع ككل – وكذا حقه فى الحصول على فرصة متكافئة مع غيره فى شغل الوظيفة التى تتفق مع الشهادة الدراسية أو الدرجة الجامعية الحاصل عليها.

الأركان الرئيسية التى يقوم عليها مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية:

فى ضوء التعريف السابق يتضح أن مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية يتضمن أركان أو مستويات أربعة لابد من توافرها هى:

١- التكافؤ أو العدالة فى القبول والالتحاق:

يتمثل هذا المستوى فى مظهرين أولهما مجانية التعليم بحيث لا يقف المال حائلا بين المواطن وبين الحصول على ذلك الحق الأساسى من حقوق المواطنة، وثانيهما يتمثل فى الاستناد إلى مقياس موضوعى للمفاضلة بين المقبولين، إذا لم تتسع الأماكن لهم، مثل مجموع الدرجات، السن، اللياقة الصحية - وما إلى ذلك، بعيدا عن التحيز لفئة معينة أو منطقة دون آخر.(٢١)

٢- التكافؤ أو العدالة فى ظروف التعليم الداخلية أو ما يطلق عليه عدالة المعاملة:

وهو يشير إلى ضرورة حصول كل فرد على فرصة متكافئة مع غيره فى الاستفادة من العناصر التعليمية التى تقدمها الدولة، وأن توزع هذه العناصر التعليمية بالتساوى بقدر الإمكان بين جميع المدارس ذات المرحلة التعليمية الواحدة، والتى تقع تحت مظلة الحكومة والمنتشرة فى جميع أنحاء الدولة،(٢٢) إذ قد نعدل بين الطلاب فى القبول ثم نميز بينهم بمعاملة بعضهم معاملة خاصة بسبب الفروق الاجتماعية أو المراكز الإدارية أو العقائد الدينية أو الاختلافات الحزبية - وهكذا. فالتفاوت فى مدخلات العملية التعليمية أو ظروف التعليم الداخلية مثل مدى حداثة أو قدم المبنى المدرسى، مستوى التجهيزات المدرسية، كثافة الفصل، مستوى إعداد المعلم ... وغيرها، لها أثر على التفاوت فى الإنجاز الدراسى،(٢٣) وهو ما يجعل

الاقتصار على التكافؤ فى القبول غير كاف لتحقيق مبدأ تكـافؤ الفـرص التعليمية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن عدالة المعاملة لا تعنى معاملة متشابهة لكل الأشخاص – أن لم يكن هناك ظروف متشابهة إلى حد ما – ولكنها تعنى أن يعامل كل الأفراد بالتساوى (غير التشابه) وأن لا تعطى معاملة أفضل لأى شخص لاعتبارات أو امتيازات خالصة، ما لم يكن هناك مبررات يمكـن أن تفسر الاختلافات فى المعاملة، كان تكون مبنية علـى أسـاس الجـدارة أو الحاجة أو الأهمية للمجتمع، فإذا كنا نؤكد على ضرورة العدالة فى المعاملة، فإن هناك ظروف عديدة تكـون أساسـا للاختلافـات فى المعاملـة بـين الأشخاص، ويصبح توحيد المعاملة فى ظلها أمرا غير عـادل، فالإعلانـات المالية للطلاب توزع على أساس مدى حاجة الطلاب لهذه الإعانات، ومـن ثم يختلف مقدار الإعانة من طالب إلى آخر، وفى نفس الوقت توزع مكافآت التفوق للطلاب المتفوقين فقط كل حسب تقديراته – وغيرها الكثير.(٢٤)

٣- التكافؤ أو العدالة فى الظروف الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع أو ما يطلق عليه التكافؤ الاجتماعى:

ويقصد به أن يكون هناك تكافؤ أو تقارب بين الأفراد فى الفـرص الاقتصادية والاجتماعية لهم – ولو بمقدار – وبالحد الذى لا يسمح بضياع فرص التعليم على أحد أو تحديدها أو التأثير فيها بسوء،(٢٥) فالتكـافؤ فى القبول، وفى ظروف التعليم الداخلية وإن كان ضرورى لتكـافؤ الفـرص

التعليمية، إلا أنه يعتبر غير كاف، طالما يعانى بعض هـؤلاء التلاميـذ مـن ظروف اجتماعية واقتصادية صعبة أو غير طبيعية، فعدم التكافؤ الاجتماعى يمكن أن يقف عقبة فى طريق تكافؤ الفرص التعليمية، فـالظروف العائليـة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى يعيش فيها التلميذ لها آثارهـا علـى درجة تقبله للتعليم وعلى إنجازه بالمدرسة،[٢٦] وهو ما أكدت عليه دراسات عديدة، حتى أن إحدى هذه الدراسات قد أشارت إلى أن حـوالى نصـف الفروق فى التحصيل الدراسى، ترجع إلى البيئة الأسرية للتلميـذ متمثلـة بصفة خاصة فى مسـتوى تعلـيم الأب والأم،[٢٧] فـالظروف الأسـرية والاجتماعية يمكن أن تقف حجر عثرة أمام استفادة بعض التلاميـذ مـن الخدمات التعليمية التى تقدم لهم، فالطلاب الذين يسيرون عدة كيلومترات إلى أن يصلوا إلى المدرسة، لا يمكن أن يتساوى مع من يـأتون بسـيارات خاصة، والذين يتكدسون مع أربعة أو أكثر من الأخوة فى غرفة واحدة غير هؤلاء الذين لا يزيدون عن اثنين، وكل منهما يستقل بحجرة... وغيرهـا، فمهما كانت هناك مجانية أو تكافؤ فى الالتحاق والمعاملة داخل المدرسة فإن التباينات الطبقية التى تتبدى فى مثل هذه المظاهر، لابد أن تجعل مـن مبـدأ تكافؤ الفرص شعارا صعب التحقيق،[٢٨] ومن هنا تأتى التسهيلات الخاصة بالمواصلات والمعيشة والمنح التشجيعية – للنابهين من المتعلمين، وممن ينتمون إلى أسر رقيقة الحال – وغيرها من الخدمات باعتبارها ضرورة من ضرورات تكافؤ الفرص التعليمية.

فالخدمات الاجتماعية التى تقدم للطلاب أصبحت لذلك تشكل جزءا أساسيا من مخططات أى نظام تعليمى حديث.[٢٩] وانطلاقا من ذلك لا يعنى تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية على مستوى التعليم النظامى – مجرد فتح أبواب المدارس، وتيسير دخولها لكل المتعلمين فى مختلف المناطق المحلية، بل لابد إلى جانب ذلك من تقديم بعض الخدمات التعليمية الصحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية للمتعلمين حتى يمكن أن يستفيد كل متعلم استفادة حقيقية من برامج التعليم التى تقدمها المدرسة، وإلا زادت نسبة الفاقد فى التعليم، بسبب عدم استفادة كثير من التلاميذ من برامج التعليم التى تقدمها المدرسة لظروف صحية أو نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية، تحول بينهم الاستفادة من هذه البرامج.[٣٠]

فتحقيق تكافؤ الفرص التعليمية لا يبدأ من داخل النظام التعليمى، بقدر ما يبدأ أولا من خلال توفير فرص وظروف اقتصادية واجتماعية متساوية،[٣١] من خلال إزالة أنواع الاختلافات التى يضعها المجتمع ونظمه، بحيث تمنح هذه النظم امتيازات لطبقة بحكم ولادتهم فى هذه الطبقة أو تحرم فريقا آخر بحكم ولادته فى طبقة أخرى،[٣٢] ولذلك تزداد صعوبة تطبيق هذا المبدأ فى المجتمعات الاستبدادية والإقطاعية، التى تتحكم فى مجريات أمورها السياسية والاقتصادية والاجتماعية قلة أو طبقة معينة، تسخر كل طاقات المجتمع لتحقيق أغراضها الذاتية ودون اعتبار لمصلحة أى من المجتمع أو الفرد، ونتيجة لهذا الاستبداد تنتقل الامتيازات الطبقية من جيل الآباء إلى

جيل الأبناء بغض النظر عن قدرات هـؤلاء الأبنـاء العقليـة أو سماتهم الشخصية.[٣٣]

٤- العدالة أو التكافؤ فى فرص العمل بعد التخرج:

نظرا للارتباط الوثيق بين التعليم وسوق العمل، فإن تكافؤ الفرص التعليمية يتطلب – فى أحد مستوياته – العدالة فى حصول كل فرد علـى فرصة متكافئة مع غيره فى شغل الوظيفة التى تتفق مع الشهادة الدراسية أو الدرجة العلمية الحاصل عليها، ذلك أن التميز والتفرقة فى هذا الجانب – بما يجعل البعض يحصل على أعمال أفضل وأسرع من البعض الآخر – يـذهب بالكثير من الآمال والطموحات التى تعد دافعا أساسيا لإقبال الناس علـى التعليم، ومن ثم فعدم اطمئنان المواطن إلى هذا الجانـب، لابـد أن يقعـد الكثيرين عن ولوج أبواب التعليم مهما كان مجانيا.[٣٤]

ثانيا: بعض مظاهر تكافؤ الفرص التعليمية فى تراثنا الإسلامى:

بداية لابد أن نشير إلى العلاقة الوثيقة بين الأيدلوجيـة السياسـية والعقائدية التى سادت المجتمع الإسلامى فى عصور ازدهاره ونظرة الإسـلام لأهمية التعليم بالنسبة للفرد والمجتمع من ناحية وتطبيق مبدأ تكافؤ الفـرص التعليمية من ناحية أخرى.

فلقد أكد الإسلام على مبدأ المساواة والعدالة فى أكمل صـورهما وجعلهما من العقائد الأساسية التى يجب أن يدين بها المسلم، فلا فضل لعربى على أعجمى، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهو مـا

يتطلب ضرورة العلم والمعرفة، فأحد المسالك الرئيسية للإيمان بالله وعبادته هي التأمل والتدبر والتفكير فى آياته ومخلوقاته، هذا التأمل والتدبر والتفكير لابد أن يقوم على بحث ودراسة تعليم وتعلم،(٣٥) فالعلم إذن هو المميز بين فرد وآخر، وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى "قل هـل يسـتوى الـذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب".(٣٦)

ولذلك أكد الإسلام على أهمية العلم والتعليم باعتباره فريضة إلهية، وضرورة إنسانية وتكليفا واجبا وملزما، فالإسلام يعتبر العلم النافع مكملا لإنسانية الإنسانية، فهو الأساس فى بناء الإنسان الصـالح الجـدير بخلافـة الإنسان فى الأرض، وبأن يقيم مجتمعا فاضلا مؤسسا على تحكيم شريعة الله وعلى تقواه،(٣٧) ولذلك أصبح الحاصلون على العلم فى مرتبة عليا يقرنون فيها بالمؤمنين أو الملائكة وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط"(٣٨) "يرفع الله الذين آمنـوا والذين أوتو العلم درجات"،(٣٩) ولهذا كان طبيعيا أن يكون طلب العلم فى الإسلام مجرد حق للفرد أن يحصل عليه أولا، وإنما هو واجب عـبر عنـه الرسول ﷺ بقوله "طلب العلم فريضة على كل مسلم"(٤٠)

ومن ناحية أخرى فإن المسلم إذا كان مطالبا بألا يقصر ما يحصـل عليه من خير على شخصه وحده مصداقا لحديث رسول الله ﷺ "لا يـؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"(٤١) بل لابد أن يفيض بـه علـى الآخرين، ولما كان العلم صورة من صور الخير المأمورة به شرعا باعتبـاره

أحد المسالك إلى الفوز برضا الله عز وجل، وأحد أهم أوجه البر، ومجال من مجالات المعروف فد أيقن المسلمون أن قيامهم بواجب التعليم، وتوفير مقوماته بما يتيح فرص التعليم للآخرين غير المستطيعين، يدخل ضمن الفرائض الواجبة على كل مسلم مستطيع.(٤٢)

وفى ظل هذه التصورات اهتم المسلمون منذ مطلع العهد النبوى بالتعليم، واعتبروه الوسيلة الرئيسية لنشر الدين الإسلامى، وأسسوا له مركزا ونظما وطرائقا ومناهجا، وكتبوا فى العلاقة بين المعلم والمتعلم، والأخلاق الواجبة لكل منهما والظروف التى تعين على التعليم، والعوائق التى يمكن أن تقف فى سبيل ذلك، وقد كانت التربية تبدأ من الصغر فى الأسرة بالمحاكاة والتقليد ثم ينتقل الطفل بعد ذلك إلى الكتاب، والذى كان يعتبر مدرسة لتحفيظ القرآن وتأديب الصغار، بعد ذلك ينتقل النابهون من خريجى الكتاب إلى حلقات العلم فى المدارس والمساجد حيث يتقنون علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والمنطق ... وغيرها، ثم ينتقل المتميزون من هؤلاء إلى حلقات المناظرة والجدل فى الأماكن العامة وحوانيت الوراقين (المكتبات) حيث كانت تعقد المناظرات وتروى الشعار، وتعرض القضايا العلمية والفكرية والفلسفية(٤٣).

ومن ناحية أخرى فإنه انطلاقا من اعتبار أن بذل العلم لأهله قربه إلى الله، وإن الإنفاق على العلم وطلبه أحد وجوه البر والمعرف، فق تسابق كل مستطيع على توفير مقوماته – بالإضافة إلى السعى فى طلبه وتعليمه –

كى يتيح فرص التعليم للآخرين غير المستطيعين، بدءا من أبسط أشكاله إلى أكثرها تعقيدا، حيث أخذت الأموال تتدفق فى صورة أوقاف يخصصها الموسرون للإنفاق منها على إقامة المؤسسات التعليمية، ودفع مرتبات المعلمين، بل لقد وصل الأمر إلى الإنفاق منها على الطلاب أنفسهم، لا من حيث تحصيل العلم فقط، إنما فى المسكن والملبس والمأكل والمشرب، كما أولى المجتمع كله رجال العلم وطلابه كل جوانب الرعاية والتقدير والتبجيل، وهو ما جعل الناس تقبل على التعليم[٤٤].

كل هذه الأمور جعلت فرص التربية والتعليم متاحة لكل أفراد المجتمع الاسلامى فى عصور ازدهاره، طالما كانت لدى الفرد القدرة والاستعداد الشخصى لعملية التعلم، وأن الفقر لم يقف عائقا أمام الراغب فى العلم والساعى إليه[٤٥] وقد تمثلت مظاهر إتاحة أو تكافؤ الفرص التعليمية أمام طلاب العلم فى عصور الازدهار الإسلامى فى الجوانب التالية:

١- بساطة ويسر التحاق الطلاب بالمؤسسات التعليمية، فالطالب فى صور الازدهار الإسلامية كان يتقدم إلى المؤسسة التعليمية التى يريدها دون أن يطالب بدرهم واحد يدفعه، بالمسجد كان مفتوحا للناس جميعا، وكانت حلقاته معدة لاستقبال الطلاب لتعليمهم بالمجان على يد الأستاذ الذى يودون، وكانت الحرية مكفولة للطالب فى التنقل بين من يشاء من الأساتذة دون قيد ولا شرط،

كما كان له مطلق الحرية فى اختيار ما يشاء من مـواد الدراسـة والأعراض عما لا يميل إليه[٤٦]. كما كان الكتاب عاما للجميـع يتعلم فيه الغنى إلى جانب الفقير، كما لم تكن هناك مدارس خاصة بالفقراء وغيرها للأغنياء أو لطبقة مخصوصة من أبناء الشعب، وإنما كان الاعتقاد عاما بضرورة جعل التعليم فى متناول الجميع، وعدم استئثار طبقة به دون أخرى لأن تلقى العلم كان بمثابة فريضة على جمع المسلمين، وقد حذر بعض العلماء والفقهاء معلمى الكتاتيـب من تفضيل أبناء الأغنياء على الفقراء فى التعليم[٤٧]. كما كانـت طريقة التحاق الطلاب بالمدرسة غاية فى البساطة واليسر، حيـث فتحت المدارس أبوابها لكل طالب علم دون أن تشترط لدراسـته شروطا، اللهم إلا استعداد الطالب نفسه ورغبته فى الدراسة وتقبل العلم، كما أنها لم تحدد سن معينة لالتحاق الطالـب بالمـدارس أو مستوى معين من الدراسة، وهو ما ساعد على أن امتلأت المدارس بالدارسين وطلاب العلم فقراء وأغنياء[٤٨]

٢- كانت معاملة المعلمين لطلابهم مظهرا هاما مـن مظـاهر تكـافؤ الفرص التعليمية، فقد حرص كل معلم على ألا يكون فى مجلسـه مكان مميز لأحد من الناس – إلا لمصلحة ظاهرة، أو لما يتميز بـه من الفضل فى العلم – بل كان الجميع عنده سواء كـان المجتمـع عنده سواء، ومن سبق من الطلاب إلى موضع من المكان المخصص

لهم جلس فيه، ولم تكن المسألة مسألة جلوس فقط، وإنما كان على المعلم أن يعامل الفقير معاملة الغنى، كما كان على الطلاب أن يقفوا موقفا مماثلا وأن يدركوا أنهم أمام المعلم وفى حلقات العلم سواسية، لا فرق بين غنى وفقير، بل الفضل للمهذب المجد أيا كان عنصره أو نصيبه من الثراء[٤٩].

والواقع أنه برغم تأكيد معظم الفقهاء والمربيين المسلمين على الأخلاق التى ينبغى أن يتسم بها المعلمون بصفة عامة، وعلى حسن معاملة الطلاب بصفة خاصة[٥٠]، فإن هذه الأخلاق لم تكن مبادئ نظرية فقط، بل كانت روحا تتمثل فى سلوك كبار المعلمين، يؤكد ذلك ما أحوته الكتب المصادر التاريخية من أدلة واضحة على المعاملة الطيبة التى كان يعامل بها المعلمون الطلبة، منها هو العالم نجم الدين الخبوشانى الذى عينه صلاح الدين الأيوبى على المدرسة الصالحية يعامل طلابه معاملة الأب لأبنائه، يحاول تقصى أخبارهم والسؤال عن مشاكلهم ومحاولة حلها حتى يتفرغوا لطلب العلم، وقد خرج فى بعض الليالى يطوف على بيوت الطلبة، فنظر من الباب فرأى أحد طلابه، وقد وضع الكتاب فى يده وأنشد بعض أبيات الشعر، فلما أصبح النهار سأل الخبوشانى الطالب عما به وأخبره بما سمعه منه الليلة السابقة وفى ذلك دلالة على انه لم يكن المعلم يهتم فقد بالقاء الدروس وإنما بأحوال الطلبة النفسية[٥١]، ويذكر السخاوى أنه قد بلغ من اهتمام أحد المدرسين بطلبته وكثرة أفضاله عليهم أن كان البعض يسميه "وزير

الطلبة"[٥٣] يضيف أن أحدهم كان قلما يقول تلاميذى، بل يقول أصحابى تقديرا لهم.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المساواة فى المعاملة، لم تمنع المعلمين من إعطاء اهتمام خاص لبعض الفئات من الطلاب، حيث كانت توجه عناية خاصة للطلاب المتفوقين والموهوبين الذين تبدو مخايل الذكاء والفطنة عليهم، وكان يعد من الظلم أن يحرم طالب نابغ من تلقى العلم لأى سبب من الأسباب، وفى ذلك يقول الإمام الغزالى "أنه ليس الظلم فى إعطاء العلم لغير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق"، كما اهتم المعلمون بتلاميذهم الفقراء وصلت عنايتهم بهم إلى حد الانفاق عليهم من ما لهم الخاص[٥٤]، بل إن بعض المدرسين كان يستدين المال ليصرف منه على طلبته وإعداد المآكل الحسنة والإنفاق عليهم ببعض الهدايا عند الختم[٥٥]، وقد ذكر السخاوى أن القاضى بدر الدين أبو المحاسن (ت ٨٠ ه) كان يفرق ما يخصه من الوصايا على الطلبة وربما حمل الطعام وما شبهه لمن يكون عنده فى المدرسة[٥٦]، كما كان عمر بن عبد الوهاب بن بنت الاعز (ت ٦٨٠ ه) يتفقد فقراء تلاميذه الذين كانوا فى مدرسته يبرهم بالمطعم والدراهم بنفسه، ولا يتكل فى ذلك على غلام ولا خادم[٥٧]، وحكى أبو بكر الخطيب البغدادى أن أبا يوسف قال كنت أطلب الحديث والفقه، وأنا مقل رث الحال، فجاءنى أبى يوما وأنا عند أبى حنيفة فانصرفت معه، فقال يا بنى لا تمد رجلك مع أبى حنيفة، فإن أبا حنيفة خبزه مشوى، وأنت تحتاج إلى المعاش،

فقصر عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي، فتفقدني أبي حنيفة رضـــي الله عنه وسئل عني فجعلت أتعاهد مجلسه فلما كان أول يوم أتيته بعد تـــأخرى عنه قال لي ما شغلك عنا، قلت الشغل بالمعاش طاعة والدى، فلما انصرف الناس دفع إلى صرة، وقال استمتع بها، فنظرت فإذا فيها مائة درهم، وقـــال لى الزم الحلقة، وإذا فرغت هذه فاعلمني، فلزمت الحلقة، فلما مضت مـــدة يسيرة دفع إلى مائة أخرى، ثم كان يتعهدني حتى اســـتغنيت وتمولـــت.(٥٨) وكذلك كان الإمام الشافعي – رحمه الله – يتيما في حجر أمه وكانت فقيرة لا تستطيع أن تمده حتى بالورق والأقلام، ولكنه التحق بالمسجد وسمع مـــن العلماء بعد حفظ القرآن، ثم انضم إلى الإمام مالك الـــذى شملـــه بعطفـــه ورعايته وإحسانه حيث دبر أمره وبهذا استطاع أن يشق طريقه حتى أصبح أحد الأئمة الأربعة الأعلام في الفقه الإسلامي وصاحب المذهب الشهير.(٥٩) وقد كان لهذه المعاملة أثر بين على حالة التعلـــيم في العـــالم الإســـلامى، إذ ظهرت بين المسلمين جمهرة ضخمة من العلماء الـــذين ينتمـــون إلى طبقـــة الفقراء الكادحين من أبناء الشعب من هؤلاء أبو تمام الطائي، والجـــاحظ، وغيرهم.(٦٠)

كما أن اهتمام المجتمع الإسلامي وعنايته بالمتعلمين لم يقف عند حد الطلاب الفقراء والمتفوقين ولكنه امتد كذلك إلى المعوقين، يعبر عن ذلـــك كثرة العلماء والمشاهير الذين لمعوا من المعوقين، والذين ما كانوا ليشـــتهروا وينبغوا لولا العون الاجتماعي المسدى إليهم لتخطى عوائقهم، فضلا عـــن

سموهم بأنفسهم عن العاهات التى أصيبوا بها، وقد اهتم المؤرخون والمؤلفون فى التراجم بالحديث عن أشهر من كان فى زمنهم من المعــوقين أو نبــغ فى أنواع العلوم والفنون التى أرخوا لها وللمشتغلين بها، بل أن بعضهم خــص هذه الفئات بالتأليف من هؤلاء الجاحظ، والهيثم بن عدى، وصلاح الــدين الصفدى – وغيرهم.[٦١]

٣– إذا كان تكافؤ الفرص التعليمية لا يقف عند الأبواب بحيث يسوى بين الطلاب فى شروط القبول الالتحاق، وإنما يمتد إلى الداخل فيهيــئ فرصــا متكافئة فى حياة الطلاب الاجتماعية والاقتصادية كى يتمكنوا من مواصــلة السير على طريق التعلم والمذاكرة، فقد حرص أفراد المجتمع والمسئولين عن التعليم فيه فى عصور الازدهار الإسلامية على تقديم العديد من التسهيلات والهبات والإعانات لطلاب العلم لتيسر عليهم سبل العلم وطريق المعرفــة منذ المرحلة الأولى وحتى نهاية مراحل التعليم حيث ينتهوا مــن دراســتهم، ويصبحوا مؤهلين للوظائف التى كان يتولها أهل العلم.[٦٢]

والدارس لحجج الأوقاف التى كانت يوقفها الخيرون من الأغنيــاء والأمراء،[٦٣] سيجد فيها شروطا متعددة يجــئ فى مقدمتــها أن يصــرف الطالب كذا وكذا سواء من المال أو الأكل والكساء ونفس الشيء بالنسبة للمعلمين وكافة العاملين بالمؤسسة التعليمية، هــذا بالإضــافة إلى الإقامــة المستمرة طوال فترة طلب العلم فى العديد من المدارس والمساجد، وتــوفير الكتب والمراجع اللازمة،[٦٤] فمساكن الطلبة كانت من أهــم الوحــدات

المعيارية التى يجب توافرها بالمدرسة بقصد إقامة الطلبة فيها، ولضمان عـــدم انقطاعهم عن العملية التعليمية بها،[٦٥] كما حرص الأمراء والســـلاطين فى معظم العصور الإسلامية على رعاية طلاب العلم وتوفير كل ما يعينهم على طلبه فكان صلاح الدين الأيوبى – مثلا – يوفر لهم كل ما يحتـــاجون مـــن مساكن يأوون إليها، ويوفر لهم الخبز الذى يوزع عليهم كل يوم، ورتـــب لهم المدرسين فى مختلف العلوم، وهيأ لهم الرعاية الصحية وفى هذا يقول بـــن جبير "اتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين (طلاب العلم) حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك، ونصب ماريســـتانات لعلاج من مرض منهم، ووكل لهم أطباء يتفقدون أحوالهم، وتحت أيـــديهم خدام يأمرونهم بالنظر فى مصالحهم،[٦٦] وأضاف أيضا ومن خلال رحلة زار فيها مصر فى عهد صلاح الدين أن من يطلب العلم يجد الأمـــور المعينـــات وأولها فراغ البال، والمسكن الذى يأويه، والمعلم الذى يعلمه الفـــن الـــذى يريد والأجير الذى يقوم بأحواله.[٦٧]

وفى هذا الإطار يقول جيبون فى حديثه عن اهتمام المسلمين بـــالعلم فى الشرق والغرب "أن ولاة الأقاليم الوزراء، كانوا ينافســـون الخلفـــاء فى إعلاء مقام العلم والعلماء، وبسط اليد فى الإنفاق على إقامة بيوت العلـــم ومساعدة الفقراء على طلبه حتى أن وزيرا واحدا لأحد السلاطين (هو نظام الملك) أنفق مائتى ألف دينار على بناء مدرسة فى بغداد، وجعل لها من الريع الذى يصرف فى شئونها خمسة عشر ألف دينار فى السنة، وكان من الـــذين

يفدون إليها من الطلاب ابن أعظم العظماء فى المملكة، وابن أفقر الصناع فيها، غير أن الفقير ينفق عليه من الريع المخصص للمدرسة، وابن الغنى يكتفى بمال أبيه.(٦٨)

٤– إذا كان تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية يقتضى ضرورة انتشار وتوزيع المؤسسات التعليمية فى كل أرجاء المجتمع مدنه وقراه، وأن تتنوع هذه المؤسسات بشكل يعكس حاجات ومطالب أفراد المجتمع، ويلبى رغبات وميول طلاب العلم، فإن الدارس لمؤسسات التعليم فى عصور الازدهار الإسلامى يجد أنها لم تأخذ شكلا واحدا جامدا، بل تعددت أشكالها بتعدد الأهداف التى كانت وراء كل مؤسسة تعليمية، فهناك الكتاب لتحفيظ القرآن ومعرفة أساسيات الدين الإسلامى وهناك المسجد الجامع لدراسات أكثر تعددا أو تعمقا، وهناك المدرسة لدراسة أكثر تخصصا وتحديدا، وتتطلب تفرغا كاملا، وإقامة داخلية فيها، وهناك البيمارستانات لتلقى العلوم الطبية، والمراصد لتلقى علوم الفلك ... إلى غير ذلك من المؤسسات التربوية العديدة التى أفرزتها الحاجات الجماهيرية،(٦٩) ولن نجد مدينة أو قرية إسلامية خلال عصور الازدهار الإسلامية إلا ووجدنا فيها لونا من ألوان هذا التعليم يتناسب وحاجات أفرادها، فالخدمات التعليمية لم تكن حكرا على أبناء المدن أو منطقة معينة، بل كان التعليم بطبيعة نشأته (نظاما شعبيا) متاحا لأبناء القرية والمدينة معا، وأهم من ذلك أن هذا التعليم

المتاح لم يكن معزولا عن حاجات البيئة ومطالبها، كما يوسم التعليم المعاصر بعزلته وعدم تفاعله مع مطالب البيئة وحاجاتها.[٧٠]

٥- لم تعرف المجتمعات الإسلامية فى عصور ازدهارها تميزا بين الذكور والإناث فيما يتعلق بتوفير الفرص التعليمية لكلا منها، انطلاقا من أن موقف الإسلام من قضية تعليم المرأة وتعلمها - قد تجاوز نطاق الإباحة أو الحق، إلى اعتباره فريضة إلهية وتكليفا واجبا وملزما، فنحن لم نجد نصا من القرآن الكريم أو السنة الشريفة يحرم تعليم المرأة أو يفرض قيودا على تعليمها، بل على العكس نجد حثا على طلب العلم وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمه.

وعلى هذه المفاهيم قامت الحياة التعليمية منذ أن انبثق فجر الدين الإسلامى، حيث استجاب الرسول صلى الله عليه وسلم لطلب النساء فى تعلم أمور الدين الحنيف، وحدد لهن وقتا خصهن بالإرشاد والتوجيه والتعليم والإجابة عن أسئلتهن، شأنهن فى ذلك شان الرجال.[٧١] فالتعليم كان على اختلاف أنواعه مصادره مطلبا عاما للذكور والإناث معا كل وفق ظروفه وقدراته وحاجاته الخاصة، وكما ظهر أسماء علماء وأدباء وشعراء وفقهاء من الرجال، فقد ظهر أيضا أسماء عالمات وأديبات وشاعرات وفقيهات من النساء فى عصور الازدهار الإسلامى، وأن كل ما أثاره الفقهاء من قضايا حول تعليم المرأة إنما هى نفس القضايا التى مازالت تثار حاليا حتى فى أكثر الدول تحضرا وتقدما مثل الاختلاط فى التعليم، وما يجب أن

تعلمه المرأة ... وغيرها من القضايا التى لا تمس حق المرأة فى التعليم، وإنما تمس تنظيمه وأشكال هذا التنظيم.[٧٢]

٦- أن تكافؤ الفرص التعليمية فى عصور الازدهار الإسلامية، لم يقتصر - فقط على المؤسسات التعليمية الرسمية أو النظامية، بل امتد مفهوم الفرصة التعليمية إلى ما تقدمه المؤسسات غير الرسمية أو النظامية، بل امتد مفهوم الفرصة التعليمية إلى ما تقدمه المؤسسات غير الرسمية كالمكتبات وقصور الأمراء حوانيت الوراقين .. وغيرها، فقد لعبت المكتبات - على سبيل المثال - دورا بارزا فى توفير المعرفة وذيوعها فى العصور الإسلامية، خاصة وأن الكتب لم تكن متيسرة كما أنه لم يكن باستطاعة الكثيرين اقتناؤها نظرا لارتفاع أثمانها، وقلة الموجود منها فجميع الكتب كانت - فى معظم هذه العصور - مخطوطات تعتمد فى كتابتها على النسخ اليدوى، إضافة إلى ارتفاع أثمان مواد الكتابة من حبر وجلد وورق .. وغير ذلك، كما أن وجود هذه المكتبات جنب الكثير من الطلبة جشع تجار الكتب ومغالاتهم فى أسعارها.[٧٣]

ومما تجدر الإشارة إليه أن وجود المكتبة أو الخزانة لم يقتصر على المدرسة وحدها بل وجدت فى المساجد والجوامع والزوايا والخوانق، كما حرص الأمراء على إنشاء مكتبات خاصة فى قصورهم[٧٤] بالإضافة إلى المكتبات التى وجدت فى أغلب بيوت العلماء والفقهاء والأدباء، وهو ما

جعل رسالة المكتبة غير قاصرة على خدمة المدرسين والطلاب، ولكنها امتدت إلى كل أفراد المجتمع،

٧- إذا كان تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية يتطلب ضرورة أن يكون التعليم إلزاميا خاصة فى مراحله الأولى فإن هناك من المربين والفقهاء المسلمين من أكد على هذه الفكرة، فالقابسى يرى أن تعليم جميع الصبيان ضرورى وواجب، وأن هذا الواجب هو الوجوب الشرعى على طريقة الفقهاء، ذلك أن معرفة العبادات واجبة بنص القرآن، ومعرفة القرآن واجبة أيضا لضرورتها فى الصلاة، وأن الوالد مكلف بتعليم ابنه القرآن والصلاة، فإذا لم يتيسر للوالد أن يعلم أبنائه بنفسه، فعليه أن يرسلهم إلى الكتاب لتلقى العلم بالأجر، فإذا لم يكن الوالد قادرا على نفقة التعليم فأقرباؤه مكلفون بذلك، فإذا عجز أهله عن نفقة التعليم فالمحسنون مرغبون فى ذلك، أو معلم الكتاب يعلم الفقير احتسابا أو من بيت المال، بذلك وصل القابسى إلى نتيجة مؤداها ضرورة ووجوب تعليم جميع أبناء المسلمين أغنياء وفقراء، وهذا المعنى قريب مما يسمى الآن التعليم الإلزامى.(٧٥)

٨- برغم أن المصادر التاريخية قد أشارت إلى أن بعض عصور الازدهار الإسلامية قد شهدت صورا متعددة لتعليم خاص كان يتم فى داخل المنازل والقصور يختلف إلى حد ما عما كان يتم لكافة الأفراد فى المساجد والكتاتيب والمدارس .. وغيرها من معاهد التعليم الإسلامى، فإن هذه المصادر قد أشارت أيضا إلى بعض علماء المسلمين والمعلمين رفض أن

يسلك سبيل هذا النوع من التعليم (الخاص) مفضلاً التعليم العام عليه، فقد رفض عبد الله بن إدريس أن يختص المأمون بدرس وحده إلا إذا سعى له المأمون، وكان جوابه للرشيد وقد رجاه أن يحدث المأمون إن قال: إن جاءنا مع الجماعة حدثناه.(٧٦)

٩- برغم ندرة المصادر التى تناولت طريقة التعيين فى الوظائف والأعمال المختلفة فى المجتمعات الإسلامية فى عصور ازدهارها،(٧٧) فإن دراسة الشروط والصفات التى أشار الفقهاء والمربين إلى ضرورة توافرها فيمن يمارسون بعض الأعمال والمهن خاصة تلك التى لها أهمية كبيرة فى حياة المجتمع كالمعلم(٧٨) والطبيب(٧٩) مثلا، يمكن أن يستدل منها العدالة فى حصول كل فرد على فرصة متكافئة مع غيره فى شغل الوظيفة التى تتفق مع ما يتمتع به من صفات ومؤهلات تتفق ومتطلبات هذه الوظيفة دون محاباه لأحد على حساب الآخر، بما قد يشير إلى توفر الركن الرابع من أركان تكافؤ الفرص التعليمية.

ثالثاً: الجوانب التى يمكن الاستفادة منها فى مجال تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية:

اتضح مما سبق أن إيمان المسلمين بأن طلب العلم فريضة وعبادة وضرورة من ضرورات الإيمان وأن بذله لأهله قربه إلى الله، جعلهم يحرصون على بذل كل جهد من أجل الحصول عليه وتوفيره لطالبيه وتذليل كافة الصعوبات التى قد تحول دون حصول كل طالب عليه بسهولة ويسر سواء

من خلال مساعدة المعلمين لطلابهم وإعانتهم على طلب العلم، أم من خلال فتح كافة أبواب المؤسسات التعليمية أمامهم دون تمييز بينهم بسبب النوع أو المستوى الاقتصادى، ووقف بعض الأموال للإنفاق منــها علــى هــذه المؤسسات ولخدمة طلاب العلم جميعا.

والواقع أننا فى حاجة إلى تأكيد هذا الدافع الدينى لــدى طــلاب ومعلمى اليوم لكى يبذلوا أقصى جهد مستطاع لاكتساب العلوم المختلفة، والتقليل من عوامل الهدر فى النظام التعليمى ممثلا فى الرسوب والتســرب، كما أننا فى حاجة إلى توعية بعض أفراد المجتمع – خاصة الأغنياء – إلى أن الإنفاق على التعليم يعد مجالا من مجالات البر والمعــروف، وإن علــيهم أن يساهموا بدور فى تيسير حصول الطلاب عليه، من خلال تخصيص جزء من أموالهم لبناء وتجهيز المؤسسات التعليمية، أو لمساعدة الطلاب الفقــراء فى الحصول عليه.

– كما اتضح أيضا أن المسلمين الأوائل قد فطنــوا إلى أهميــة الخــدمات التعليمية التى تقدم للطلاب فى زيادة قدرهم على التحصيل العلمى، ولذلك حرصوا على توفير العديد من الخدمات لطلاب العلم حتى يتفرغوا لطلبــه، فاهتموا بتوفير كل ما يحتاجونه إليه من مساكن يأوون إليها، وأطعمة توزع عليهم، وأطباء يتفقدون أحوالهم، وخدم يأمرونهم بالنظر فى مصــالحهم ... وغيرها الكثير، الأمر الذى يدعونا إلى ضرورة التفكير بجدية، وإعادة النظر فيما يقترحه ويدعو إليه البعض(٨٠) من ضرورة تخلى الدولة عن بعض مــا

تقدمه من خدمات للطلاب كالمدن الجامعية أو التغذيـة أو العـلاج، أو أن تعمل على رفع أسعار تقديم هذه الخدمات، زيادة الرسوم المدرسية المقـررة على الطلبة، وإعادة النظر في نظام مكافـآت التفـوق - وغيرهـا مـن المقترحات، والتي يمكن أن تشكل عائقا يحول دون تحقيق تكـافؤ الفـرص بصورة كاملة.

- إن اهتمام المسلمين الأوائل ببعض الفئات الخاصة كالمتفوقين والمعاقين يعد صورة مضيئة، تجعلنا نزيد من اهتمامنا بهذه الفئات، وأن نغير اتجاهنا نحـو بعضها خاصة المعوقين، وأن نؤمن بأن المعاق يمكن أن يتغلب على ظـروف إعاقته بإعانة المحيطين له، سواء في محيط الأسرة أو المدرسة.

- تعد علاقة المعلمين بطلابهم في عصور الازدهار الإسلامي صورة مضـيئة هامة، لابد من الإقتداء بها في الوقت الحالي إقتداء في سعي المعلم في مصـالح طلابه، والمساواة بينهم، مراعاة الفروق الفردية، والتواضع والرفق بهم ... وغيرها الكثير.

- وأخيرا فإنه بعد هذا العرض لمفهوم تكافؤ الفرص التعليميـة ومظـاهر تطبيقه في عصور الازدهار الإسلامي، نعود ونكرر ما سبق وذكرنا من أن ما حققته الحضارة الإسلامية في عصور ازدهارها، كان وراءه نظام ومفـاهيم وقيم تربوية، نحن الآن في أمس الحاجة إلى دراسـتها والوقـوف أمامهـا للاستفادة من بعض جوانبها في حل بعض مشكلاتنا التعليميـة، أو إعـادة صياغة بعض جوانب سياستنا التعليمية في المستقبل في ضوئها.

مراجع الدراسة

١ - على السيد الشخيبى : السياسة التعليمية وتكافؤ الفرص التعليمية فى مصر - فى كتاب التربية والمجتمع، دراسات فى بعض قضايا المجتمع المصرى - كلية التربية - جامعة عين شمس - ١٩٨٨. ص ١٢٧.

٢ - زينب محمد فريد : دراسات فى التربية - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٨٢ ص ١٥٣.

٣ - محمد صديق حمادة : فلسفة تكافؤ الفرص التعليمية بين النظرية والتطبيق - بحوث مؤتمر نحو رؤية نقدية للفكر التربوى العربى - المجلد الاول - رابطة التربية الحديثة بالاشتراك مع الجامعة العمالية بالقاهرة - ١٩٨٩. ص ٢٧٩.

٤ - على السيد الخشيبى : مرجع سابق. ص ١٢٧

٥ - من هذه الدراسات :

- رجب عبد الوهاب عبد اللطيف : دراسة تحليلية لمفهوم تكافؤ الفرص التعليمية - بحوث مؤتمر نحو رؤية نقدية للفكر التربوى العربى - المجلد الاول - مرجع سابق.

- عصام الدين هلال : نحو مفهوم شامل لتكافؤ الفرص التعليمية فى مصر - دراسة مقدمة الى مؤتمر الديمقراطية والتعليم فى مصر - رابطة التربية الحديثة بالاشتراك مع مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة الاهرام - القاهرة - مارس ١٩٨٤.

- حسن الفقى : تكافؤ الفرص التعليمية ومجتمع الجدارة - مجلة العلوم الاجتماعية -

- حسن الفقي : تكافؤ الفرص التعليمية ومجتمع الجدارة - مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت، المجلد الحادي عشر - العدد الرابع - ديسمبر ١٩٨٣.

٦ - على صالح جوهر : مجانية التعليم في مصر الاسلامية دراسة تطورية تحليلية - مجلة كلية التربية بدمياط جامعة المنصورة - العدد العاشر الجزء الثاني - يونيه ١٩٨٨.

- زينب حسن حسن : المجانية في مصر هل دعمت أم خربت ديمقراطية التعليم ؟ - الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس - المجلد العاشر تحرير سعيد اسماعيل على - دار الثقافة للطباعه والنشر - القاهرة - ١٩٨٥.

- سامية السيد بغاغو : سياسة القبول بالجامعات ومدى تحقيقها لمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية دراسة ميدانية على جامعة طنطا - رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية التربية جامعة طنطا ١٩٨٥.

٧ - من هذه الدراسات :

محمد صديق حمادة : مرجع سابق.

- على السيد الشيخيبى : مرجع سابق.

- عنتر لطفى محمد : تكافؤ الفرص التعليمية في التعليم المصرى بين النظرية والتطبيق - بحوث مؤتمر نحو مشروع حضارى تربوى - رابطة التربية الحديثة بالاشتراك مع كلية التربية - جامعة عين شمس - ابريل ١٩٨٧.

- حمدى حسن عبد الحميد على : مدى تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية في التعليم [illegible] المصرى - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية - جامعة الزقازيق - ١٩٨٢.

عبد التواب عبد الله عبد التواب : تكافؤ الفرص في التعليم الثانوي في جمهورية مصر العربية وتأثره بالاوضاع الاجتماعية الاقتصادية للتلميذ "دراسة ميدانية" – رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية جامعة أسيوط – ١٩٧٨ .

٨ – انظر في ذلك – رمضان أحمد عيد : دراسة مقارنة لوسائل تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية في المرحلة الثانوية في مصر وانجلترا والهند – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية التربية جامعة عين شمس ١٩٨٥ .

– السيد عبد العزيز البهواش : السياسة التعليمية وتكافؤ الفرص دراسة مقارنة بين مصر واليابان، بحوث المؤتمر الثاني عشر لرابطة التربية الحديثة بالاشتراك مع كلية التربية جامعة المنصورة" السياسات التعليمية في الوطن العربي "المجلد الاول – يوليو ١٩٩٢ .

٩ – سعيد اسماعيل علي : أهداف المدارس الاسلامية – مجلة المسلم المعاصر – السنة السادسة عشر – العدد الثالث والستون – المعهد العالي للفكر الاسلامي – بيروت – فبراير / ابريل ١٩٩٢ . ص ١٠٧ .

١٠ – عبد الرحمن النقيب : ديمقراطية التعليم في عصور الازدهار الاسلامي دروس مستفادة – الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس – المجلد العاشر – مرجع سابق، ص ١٢٩ .

١١ – عبد الغني عبود : بدراسة مقارنة لتاريخ التربية – دار الفكر العربي – القاهرة – ١٩٧٨ . ص ١٩٨ .

١٢ – عبد الرحمن النقيب . مرجع سابق – ص ١٩٣ .

١٣ – محمد صديق حمادة : مرجع سابق ص ٢٨١.

١٤ – منير المرسى سرحان : في اجتماعيات التربية – الطبعة الثالثة – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة ١٩٨٢. ص ٢٥٩

١٥ – سعيد اسماعيل على : محنة التعليم فى مصر – كتاب الاهالى – العدد الرابع – جريدة الاهالى – القاهرة – نوفمبر ١٩٨٤. ص ١٠٣.

١٦ – محمد صديق حمادة : مرجع سابق. ص ٢٨٢

١٧ – المرجع السابق : ص ٢٨٣

١٨ – زينب حسن حسن : مرجع سابق. ص ١١٩

١٩ – زينب محمد فريد : مرجع سابق ص ١٤٣

٢٠ – حامد عمار : في بناء البشر، دراسات فى التغير الحضارى الفكر التربوى – المركز العربى للبحث والنشر – القاهرة – ١٩٨٢ ص ٦٥

٢١ – زينب حسن حسن : مرجع سابق. ص ١٣٢

٢٢ – على السيد الشخيبى : مرجع سابق. ص١٣٢

٢٣ – محمد صديق حماده : مرجع سابق. ص ٢٨٢

٢٤ – رجب عبد الوهاب عبد اللطيف : مرجع سابق . ص ١٥٢ – ١٥٣

٢٥ – محمد أحمد الغنام : مسئولية التعليم فى تذويب الفوارق بين الطبقات فى مجتمعنا – صحيفة التربية – القاهرة – نوفمبر ١٩٦٢. ص ١٠٩

٢٦ – رجب عبد الوهاب عبد اللطيف : مرجع سابق. ص ١٥٦

٢٧ – لمزيد من التفصيل عن بعض هذه الدراسات يمكن الرجوع الى المرجع السابق ص ١٥٦-١٦٠

٢٨-زينب حسن حسن : مرجع سابق ص ١١٩.

٢٩ - فوزى يوسف سليمان : الخدمات الاجتماعية لطلاب الجامعات فى الجمهورية العربية المتحدة وكل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية دراسة مقارنه - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية - جامعة عين شمس - ١٩٧٠. ص ٣٠١.

٣٠ - عبد الغنى عبود - ادارة التربية وتطبيقاتها المعاصرة - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٧٨ ص ٩٣.

٣١ - مهرى أمين دياب : الاحتياجات التربوية لعمال الزراعة فى قريه مصرية "الحوته بحيرة" دراسة حالة رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية - جامعة عين شمس - ١٩٨٢. ص ٨٩

٣٢ - حامد عمار : مرجع سابق. ص ٦٥

٣٣ - على السيد الشخيبى : مرجع سابق. ص ١٣٠

٣٤ - زينب حسن حسن : مرجع سابق. ص ١١٩

٣٥ - سعيد اسماعيل على : رؤية اسلامية معاصرة للمسألة التعليمية - مجلة الوعى الاسلامى السنة (٣٠) العدد ٣٣٠ - وزارة الاوقاف الشئون الاسلامية بدولة الكويت - أغسطس ١٩٩٣. ص ٦١.

٣٦ - سورة الزمر : أية ٩.

٣٧ - زغلول راغب النجار : ازمة التعليم المعاصر وحلولها الاسلامية - المعهد العالى للفكر الاسلامى ١٩٩٠. ص ٢٣٨

٣٨ - سورة ال عمران : أية ١٨.

٣٩ – سورة المجادلة : اية ١١.

٤٠ – جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى : الجامع الصغير فى احاديث البشير النذير. دار القلم للتراث – القاهرة د.ت. ص ١٩٤

٤١ – المرجع السابق. ص

٤٢ – سعيد اسماعيل على : رؤية اسلامية معاصرة للمسألة التعليمية مرجع سابق ص٦٢

٤٣ – زغلول راغب النجار : مرجع سابق ص ١١٨

٤٤ – سعيد اسماعيل على : التعليم المصرى بين القطاع العام والقطاع الخاص – دراسات تربوية. المجلد السابع – الجزء ٤٥ – سلسلة ابحاث تصدر عن رابطة التربية الحديثة – القاهرة – ١٩٩٢. ص ٤٥

٤٥ – أحمد شلبى : التربية والتعليم فى الفكر الاسلامى – الطبعة الثامنة – مكتبة النهضة العربية – القاهرة – ١٩٨٧. ص ٢٩٦

٤٦ – محمد عبد الرحيم ابو غنيمة : تطور التعليم الجامعى فى الاسلام – رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب – جامعة القاهرة – ١٩٥٣. ص ١٨٠.

٤٧ – سعيد اسماعيل على : ديمقراطية التربية الاسلامية – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٨٢. ص ٢٠٠.

٤٨ – حسن ابراهيم عبد العال : فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة – مكتب التربية العربى لدول الخليج – الرياض – ١٩٨٥. ص ٥٦.

٤٩ – أحمد شلبي : مرجع سابق. ص ٢٩٦.

٥٠ – لمزيد من التفصيل عن هذه الشروط الأخلاق يمكن الرجوع الى :

– الخطيب البغدادى (ابو بكر احمد بن على بن ثابت) كتاب الجامع لاخلاق الراوى وآداب السامع –تحقيق أحمد رأفت سعيد – مكتبة الفالح – الكويت – ١٩٨١.

– ابن جماعة (بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة) : تذكرة السامع والمتكلم فى ادب العالم والمتعلم – دار الكتب العلمية – بيروت – بدون تاريخ.

٥١ – عفاف سيد محمد صبره : المدارس فى العصر الايوبى – فى كتاب تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية اعداد ونشر عبد العظيم رمضان – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٢. ص ١٨٨.

٥٢ – السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع عشر – جـ٥ مكتبة القدس – القاهرة – ١٣٥٣هـ. ص ٢٦٣.

٥٣ – المرجع السابق – جـ١٢. ص ٩ ، ١٠.

٥٤ – أحمد شلبى : مرجع سابق. ص ٢٩٧.

٥٥ – السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) مرجع سابق – جـ٦ ص ١٨١ – ١٨٢.

٥٦ – السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) : الذيل على رفع الاصر أو بغية العلماء والرواه – تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبح، مراجعة على البيجاوى – الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر – القاهرة. د.ت ص ٣٥٢ – ٣٥٣.

٥٧ – المرجع السابق : ص ٤٥٩ – ٤٦٠.

٥٨ – ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابى بكر) : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان جـ٢ – دار صادر – بيروت – ١٩٦٩. ص ٤٠١.

٥٩ – المرجع السابق : ص ٤٠١.

٦٠ – أحمد شلبى : مرجع سابق ص ٢٩٨.

٦١ – عبد الستار ابو غدة : رعاية المعوقين فى الاسلام – المسلم المعاصر – العدد (٣٤) – بيروت فبراير ١٩٨٣. ص ١١٩.

٦٢ – محمد محمد عبد القادر الخطيب : دراسات فى تاريخ الحضارة الاسلامية – مطبعة الحسين الاسلامية – القاهرة – ١٩٩١ – ص ٢٣٢.

٦٣ – لمزيد من التفاصيل عن الاوقاف ودورها فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية فى المجتمع يمكن الرجوع الى :

– محمد محمد أمين : الاوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر دراسة تاريخية وثائقية – دار النهضة العربية – القاهرة ١٩٨٠.

– مجاهد توفيق الجندى : دراسات وبحوث جديدة فى تاريخ التربية الاسلامية – دار الوفاء للطباعة – القاهرة – ١٩٨٤.

– محمد عفيفى : الاوقاف الحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٩١.

٦٤ – ناجى معروف : تاريخ علماء المستنصرية – جـ٢ – دار الشعب – القاهرة – ١٩٧٦. ص ٤١.

٦٥ – مصطفى عبد الله محمد شيحه : دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية فى كتاب تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية – اعدها للنشر عبد العظيم رمضان – مرجع سابق. ص ٤١٤.

٦٦- ابن جبير (ابو الحسن محمد احمد الكنانى الاندلسى) - رحلة ابن جبير - دار صادر - بيروت ١٩٨٨. ص١٥. نقلا عن : عفاف سعد محمد صبره : مرجع سابق. ص١٨٦.

٦٧ - المرجع السابق : ص١٨٦.

٦٨ - الامام محمد عبده : الاسلام بين العلم والمدنية "٢". سلسلة المواجهة والتنوير - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٣. ص ١٣١.

٦٩ - لمزيد من التفصيل عن هذه المؤسسات يمكن الرجوع الى :

سعيد اسماعيل على : معاهد التربية الاسلامية - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٨٦.

٧٠ - عبد الرحمن النقيب : مرجع سابق. ص ٢٠٠ - ٢٠١.

٧١ - جمال على الدهشان : تعليم المرأة من منظور اسلامى - مجلة العلوم التربوية والنفسية كلية التربية - جامعة المنوفية - السنه السابعة - العدد الثالث - يوليو ١٩٩١. ص ١١٩ - ١٢٠.

٧٢ - عبد الرحمن النقيب : مرجع سابق. ص ٢٠٣.

٧٣ - عبد الغنى محمود عبد العاطى : التعليم فى مصر زمن الايوبيين والمماليك - دار المعارف القاهرة ص ٢٤٨.

٧٤ - زبيدة محمد عطا : مكتبات المدارس "خزانة الكتب" فى العصرين الايوبى والمملوكى - فى كتاب تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية - مرجع سابق. ص ٢١١.

٧٥ - أحمد فؤاد الاهوانى : التربية فى الاسلام - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٠. ص ١٠٣

٧٦ – سعيد اسماعيل على : ديمقراطية التربية الاسلامية – مرجع سابق. ص ٢٠٤

٧٧ – من المصادر التى تحدث عن بعض الو ظائف فى العهد النبوى :

– العلامة الشيخ عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية – دار الكتاب العربى – جزءان – بيروت – د.ت.

٧٨ – لمزيد من التفصيل عن الشروط التى ينبغى ان تتوافر فى معلمى الكتاتيب يمكن الرجوع الى :

– حسن ابراهيم عبد العال : التعليم الابتدائى فى تراثنا الاسلامى فى كتاب عبد الغنى عبود وآخرون – فلسفة التعليم الابتدائى وتطبيقاته – دار الفكر العربى – القاهرة – ١٩٨٢

٧٩ – لمزيد من التفصيل عن الشروط التى ينبغى أن تتوافر فى الطبيب يمكن الرجوع الى :

– عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب : الاعداد التربوى والمهنى للطبيب عند المسلمين – دار الفكر العربى – القاهرة – ١٩٨٤.

٨٠ – من الدراسات التى اشارت الى بعض هذه الاقتراحات :

– محمد صبرى الحوت : تعبئة موارد مالية اضافية للتعليم العالى مصر – مجلة كلية التربية جامعة الزقازيق – السنة الثالثة – العدد السابع – سبتمبر ١٩٨٨

– شكرى عباس حلمى : اقتصاديات التعليم الجامعى فى مصر – بحث مقدم الى ندوة سياسية التعليم الجامعى – الابعاد السياسية والاقتصادية التى نظمها مركز البحوث والدراسات السياسية – بجامعة القاهرة فى الفترة من ٢٤ – ٢٥ يناير ١٩٩٠.

الفصل الثالث

دراسة عن

تعليم المرأة من منظور إسلامى

- مقدمة
- مشكلة الدراسة وتساؤلاتها
- أهمية الدراسة
- خطوات الدراسة :

أولاً : مكانة المرأة فى المجتمع من منظور إسلامى .

ثانياً : شواهد وجوب تعليم المرزة من منظور إسلامى .

ثالثاً : مظاهر الاهتمام بتعليم المرأة في المجتمع الإسلامى الأول .

رابعاً : ما يجب أن تتعلمه المرأة من منظور إسلامى .

- المراجع

تعليم المرأة من منظور إسلامي

مقدمة : -

شغلت قضايا المرأة وأوضاعها وشئونها وما تؤدية من أدوار فى المجتمع إهتمام الكتاب والمفكرين والباحثين فى معظم المجتمعات - وقد تعددت الرؤى والمذاهب حول هذه القضايا تبعاً لتعدد التصورات العقدية والرصيد الثقافى لاصحاب هذه الرؤى والمذاهب - ولعل أوضح دليل على ذلك الاهتمام ما شهده القرن الحالي من مؤتمرات وحلقات وندوات - لمناقشة هذه القضايا وتوجيه اهتمام دول العالم إليها - وما عبرت عنه الأمم المتحدة باعتبار الفترة من عام ١٩٧٦ حتى عام ١٩٨٥ عقدا دوليا للمرأة بدلا من الاكتفاء بتخصيص سنة دولية واحدة فقط لقضية المرأة - كعادتها عند الاحتفال بموضوع معين على مستوى العالم - فقضية المرأة ليست قضية خاصة بالنساء فقط ، بل هى قضية الرجل والمرأة على السواء ، أو هى قضية المجتمع بأكمله (١) ، فالمرأة نصف المجتمع ، وتعتبر مسؤولة عن تربية النصف الآخر ، وهى بالتالى تمثل كل المجتمع نصفه بالأصالة ، ونصفه الآخر بالوكالة (٢).

وإذا كانت المرأة تمثل كل المجتمع باعتبارها شريكة الرجل ورفيقته ، ومعاونة له على النجاح وأداء رسالته في المجتمع ، وباعتبارها مسئولة عن تربية الأجيال الناشئة فإن إتاحة فرص التعليم أمامها ، وإعداد البرامج لتدريبها ورفع كفايتها ، يعد أمرا ضروريا ، فالتعليم بالنسبة للمرأة يعد ضرورة انسانية ، يساعدها على تحقيق ذاتها وإثراء حياتها الثقافية والاجتماعية وتأديه واجباتها تجاه ربها وأسرتها ومجتمعها على نحو مرض ، وبشكل يؤدى إلي رقى المجتمع وتنميته ، والتعليم يمكن أن يساعد المرأة - كما يرى المودودى - على أن تكون زوجة مثالية وأما رؤوما وربة بيت مدبرة ، ومواطنة ذات عقل وفكر مستنير ،

وأخلاق فاضلة (٣) ، بل أن قاسم أمين يذهب إلي أن المرأة لا يمكنها أن تدبر منزلها أو تقوم بوظيفتها فى الهيئة الاجتماعية وفى العائلة ، إلا بعد تحصيل مقدار معلوم من المعارف العقلية والأدبية (٤) ، ولذلك فإصلاح المجتمع وتطويره يتوقف إلي حد كبير عن حسن تربية بناته أكثر من توقفه على إصلاح وحسن تربية أبنائه ، لأن تعليم الرجل يعتبر تعليما فرديا بينما يعتبر تعليم المرأة تعليماً للاسرة بأكملها، وللمجتمع ككل، فوظيفة المرأة فى المجتمع أبلغ أثرا فى تنشئة الأجيال من الجنسين ، ومن الصعب أن يرقى للجتمع ما دام نصفه (المرأة) الذى يقوم بالتربية المنزلية معطلاً وجاهلاً (٥) .

ومما يزيد من ضرورة التعليم للمرأة لكى تحسن تربية أبنائها ، أن المدرسة لم تعد مستقلة عن الحياة المنزلية ، ولم تعد العملية التعليمية في حد ذاتها قاصرة على المبنى المدرسى ، حيث الأطفال يمكن أن يتعلموا فى كل مكان (كالمنزل) ، بل أن جزءا كبيراً من العملية التربوية يقع على عاتق الأم ، باعتبارها أهم معلم خاصة فى مراحل حياتهم الأولي (٦) ، ومن الصعب أن يعيش الأطفال فى بيئتين منفصلتين تمام الانفصال بيئة المدرسة والمعرفة ، وبيئة البيت والجهل (إذا كانت الأم غير متعلمة) ، أن تلك الانفصالية يمكن أن يكون لها أثار سيئة على الأبناء ، فى وقت يجب أن تتضافر جهود البيت والمدرسة تعاونا من أجل أجيال أفضل ، خاصة فى ظل ما يشهده العصر الحالى من التقدم العلمى والتكنولوجى والانفجار المعرفى ، وثورة الاتصال الحديثة (٧) .

وعلى الرغم من أهمية وضرورة تعليم المرأة فإن واقع تعليمها فى مصر والدول العربية يشير إلي أن المرأة لم تأخذ بعد فرصتها الكاملة فى التربية والتعليم ، وأن تعليم البنات - رغم الجهود المبذولة فى هذا المجال ، والتى تشير إلى الاهتمام الملموس فى التوسع فى تعليم الاناث وتدريبهم، ووضع البرامج

لمحو اميتهن - ما زال متأخرا ، فنسبة الأمية بين النساء العربيات تصل فى المتوسط إلى ٧٠٪ لمن هن فوق الخامسة عشرة ، وهو رقم متوسط يتوارى خلفه كل ما تخبئه الأرقام المتوسطة ، فنسبة الأمية بين النساء تتراوح فى الاقطار العربية بين حدها الأدنى ٣٥٪ ، وتقع كفة الحد الاقصى فى موقع الرجحان ، فى حين تصل هذه النسبة على مستوى العالم ٣٤٪ فقط، كما أن نسبه الالتحاق بالنسبة للأطفال فى فئة العمر من (٦ - ١١سنة) تصل فى المتوسط إلي ١ و١٥٪ بالنسبة للاناث ، ٨٢٪ بالنسبة للذكور ، وبلغت النسبة لفئة العمر من (١٢-١٧ سنه) ٤٢,٤ ٪ بالنسبة للاناث ، ٥٩,٦ ٪ بالنسبة للذكور وفقاً لاحصاءات اليونسكو الصادرة عام ١٩٨٦ (٨) .

أما بالنسبة لمصر فالجدول التالى يوضح الحالة التعليمية للنساء فى سن عشر سنوات وما فوق .

جدول رقم (١)

يوضح توزيع النساء (١٠ سنوات فأكثر) وفقا لحالة التعليم

خلال الفترة من ١٩٦٠- ١٩٨٦ (٩)

الحالة التعليمية / السنة	أميـــة	تقرأ وتكتب	تعليم متوسط	تعليم جامعى
تعداد ١٩٦٠	٨٤,٣	١٣,٢	٢,٣	٠,٢
تعداد ١٩٦٦	٧٨,٩	١٧,٣	٣,٤	٠,٣
تعداد ١٩٧٦	٧٠,٩	٢٤,٢	٣,٩	١,٠
تعداد ١٩٨٦	٦١,٧٢	٢٧,٣٤	٩,٣٤	١,٦٢

تشير الأرقام الواردة في الجدول رقم (١) إلى أنه على الرغم من اتجاه نسبة الأمية بين النساء، إلى الانخفاض من ٨٤,٣٪ عام ١٩٦٠ إلى نحو ٧١٪ عام ١٩٧٦، وإلى نحو ٦١٪ في عام ١٩٨٦، فإن النسبة ما تزال مرتفعة بالمقارنة بما هو عليه الحال في الدول المتقدمة، أو بين الذكور في مصر، وبالنظر إلى مرور ما يزيد على ربع قرن من الزمان على تقرير مجانية التعليم في مصر..

كما يشير الجدول إلى تضاؤل نسبة الحاصلات على تعليم متوسط، وعلى تعليم جامعي إلى اجمالى عدد النساء في مصر رغم الاتجاه التصاعدى لتلك النسب منذ عام ١٩٧٦، وإذا ما حاولنا الربط بين تلك النسب من ناحية ونسبة اللائى يقرأن ويكتبن من ناحية أخرى، فإننا نستطيع القول بأن ارتفاع النسبة الأخيرة عن النسبة الأولى يعكس ارتفاع نسبة التسرب أو عدم تكملة التعليم بمختلف مراحله حتى النهاية .

أما بالنسبة لمعدلات الالتحاق بالمدارس فإن الدراسات تشير إلى أن نسبة القيد بين الاناث مازالت منخفضه في المرحلة الإبتدائية، وتزداد هذه النسبة انخفاضاً كلما تقدمت المرحلة التعليمية، فأعداد هائلة من البنات في سن التعليم هن خارج المدارس، خاصة في المناطق الريفية والمناطق الحضرية والشعبية، وفي المناطق الصحراوية النائية . فقد أشارت إحدى الدراسات المسحية التى أجراها المركز القومى للبحوث التربوية عن نسب الاستيعاب في بعض المناطق الريفية والمناطق الحضرية الشعبية بجمهورية مصر العربية، إلى أن نسب الالتحاق بالمدارس – في المراحل المختلفة (حضانة – ابتدائى – اعدادى) بالنسبة للأطفال في فئة العمر من (٥- أقل من ١٦ سنه) – مرتفعة في الذكور بدرجة كبيرة على الاناث، حيث بلغت نسبه الالتحاق في الذكور ٩٢,٢٪ في الحضر، ٤٩,٥٪ في الريف، وإن نسبة الالتحاق لجملة الريف والحضر

٣,٦٧ ٪ بالنسبة للذكور ، وبلغت نسبة الالتحاق فى الاناث ٨٢,٤ ٪ فى الحضر ، ١٤,٩ ٪ فى الريف ، ٣٨,٩ ٪ بالنسبة لجملة الريف والحضر(١٠).

ففى هذه المناطق الريفية والحضرية الشعبية والصحراوية النائية ، نجد أسرا تحجب البنت عن الالتحاق بالتعليم ، واستكماله لعدم الايمان بضرورة تعليم المرأه، ولتعطى فرصة لأخيها على أساس أنه رجل المستقبل ورب أسرة جديدة، وصاحب التزامات اقتصادية وإجتماعية ، ولذلك فهم يبذلون جهداً لاستمرار الذكور فى الدراسة لفترات أطول مما هو عليه بالنسبة للبنات حيث يعطى الولد فرص أكبر لاعادة السنوات الدراسة - بخاصة الشهادات - لاستكمال تعليمه، بينما قد لا تمنح نفس الفرصه لاخته، فيفضل لها البقاء فى المنزل لمساعدة الوالدين ، ثم زواجهن مبكراً ، كما أن بعض أولياء الأمور لا يرغبون فى أن تلتحق بناتهم بكليات بعيدة عنهم ، وأزواجا كثيرين يرفضون أن تستكمل زوجاتهم أى دراسه عليا (١١).

كما يشير محمد العوض جلال الدين فى دراسته عن التمييز بين الذكور والاناث وانعكاساته على وضع المرأه ودورها في المجتمع ، إلي أن التحيز فى تعليم المرأة ليس فقط فى اتاحة فرص متساوية من الناحية الكمية ، وإنما أيضا فى الناحية النوعية والتخصصية ، فالواقع الاجتماعي والاسرى يفرض على الفتاة أن تتجه إلي دراسات معينة بحجة طبيعة العمل الذى يناسبها ، ويتوافق مع قيم المجتمع السائدة ، وبحجة تقسيم العمل حسب الاختلافات الجنسية ، ليس ذلك بسبب ميل طبيعي ومغروس لدى المرأة بقدر ما هو إفراز لهذا الواقع(١٢).

وإذا كانت قضية المرأة قضية ثقافية واجتماعية فى المقام الأول(١٣) - فإن الأمر يتطلب ضرورة العمل على تعديل الاتجاهات نحو تعليم المرأه ، أو بمعنى

آخر تغيير الاتجاهات التى ترى عدم أهمية وضرورة تعليمها، وبذل كافة الجهود فى مجال تعليمها، واتاحة الفرصة أمامها للتثقيف والتعليم والمشاركة فى تنمية المجتمع ، لما لكل ذلك من أهمية بالغة فى زيادة فرص التعليم المتاحة للمرأة ، ودفع عجلة هذا التعليم للامام.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:-

إذا كان الإسلام قد حث على طلب العلم بصورة جادة ، وجعله فريضة وعبادة ، سواء أكان ذلك بالنسبة للرجال أم للنساء ، فإن قضية تعليم المرأة تعد من القضايا التى لازالت تفرض نفسها على الفكر التربوى الإسلامى ، لأنها لم تأخذ بعد موقعها ومكانها المناسب فى البناء التربوى الإسلامى المعاصر ، فبعض دعاه الفكر الاسلامى المعاصرين لم يولوا عنايتهم بالفتاة بقدر عنايتهم بالفتى ، ولم يقدموا لها المنهج المناسب لاداء رسالتها فى مجتمعها ، كما لا يزال الكثير من جوانب هذه القضية محل أخذ ورد (١٤) ، نظراً لاعتقاد البعض أن الإسلام قد فرض قيوداً على تعليم المرأه ، انطلاقاً من دوافع الغيرة الشديدة عليها ، والتخوف من كل ما يحتمل فيه من مجال الغواية والانحراف ، فهم يقولون بتعليم المرأه القرآن الكريم والدين الإسلامى ليس غير ، وينهون عن تعليمها الكتابة والشعر ، وقد أورد الجاحظ هذا الرأى فى كتابه البيان والتبين « لا تعلموا بناتكم الكتاب ، لا ترووهن الشعر ، وعلموهن القرآن » ومن القرآن سورة النور (١٥)، كما أشار القابسى الفقيه القيروانى فى كتابه " الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين " إلى أن تعليم الانثى القرآن والعلم حسن ومن مصالحها ، أما أن تعلم الترسل والشعر وما أشبه ، فهو مخوف عليها ، إنما تُعلم ما يُرجى لها من صلاحه ، ويؤمن عليها من فتنته، وسلامتها من تعليم الخط انجى لها » (١٦) وذهب أبو الثناء الألوسى

إلى تحريم تعليم البنت الكتابة ، وقد ألف كتابا فى هذا المعنى سماه « الاصابة (أى وجه الصواب) فى منع النساء من تعلم الكتابة » (١٧).

ومما تجدر الاشارة إليه أن هذا الاتجاه بصوره المختلفة ، ومستوياته المتعددة ، مازال متحركاً داخل عقول أفراد وجماعات تتحفظ على تعليم المرأة وحدوده ، وتثير العديد من الشبهات حول حقها في التعليم والعلم وحدوده محصنين أنفسهم بدروع من الشريعة والبيولوجيا وشواهد الحياة (١٨) ، ولعل ذلك هو ما دعا الباحث إلى القيام بهذه الدراسة محاولا من خلالها التعرف على بعض جوانب هذه القضية من منظور إسلامى ، من خلال محاولة الاجابة على التساؤلات التالية :

١- ما مكانة المرأة فى المجتمع من منظور اسلامى ؟

٢- ما الشواهد التى يمكن أن نستدل منها علي وجوب تعليم المرأة من منظور إسلامى ؟

٣- ما مظاهر الاهتمام بتعليم المرأة في المجتمع الاسلامى الأول ؟

٤- ما الذى يجب أن تتعلمه المرأة من منظور إسلامى ؟

أهمية الدراسة :-

تكمن أهمية الدراسة فى الآتى :-

١- أنه علي الرغم من كثرة الدراسات والبحوث حول قضية المرأة عموماً والمرأة المسلمة بوجه خاص ، فإن تعدد الرؤى والمذاهب حول هذه القضية- بتعدد الاتجاهات والتصورات العقدية والثقافات والانتماءات للدارسين - يجعل الدراسات حول المرأة وقضاياها متجددة وحيوية ، ومطلبا ملحاً فى مختلف العصور والأزمان .

٢- أن موضوع تعليم المرأة له صلة وثيقة بتقدم المجتمع ونهضته ، فهو يزودها بالخبرات والتخصصات والمهارات المطلوبة في عمليات التنمية في المجتمع، وحتى تتحمل مسئوليتها في المشاركة فى صنع الحياة وإيجابية هذا من ناحية، ويساعدها على حسن تربية أبنائها من ناحية أخرى ، وهو ما يؤكد أهمية وضرورة طرح موضوع تعليم المرأة على نطاق البحث .

٣- اعتقاد البعض أن الإسلام قد فرض قيوداً على تعليم المرأة ، وإثارة بعض الشبهات حول حقها في التعليم والتعلم وحدوده، معتمدين فى ذلك على ثقافة دينية أساسها ثقافة عصور الفرق التي أدخلت في الإسلام ما ليس فيه، وخاصة التطرف عن نصوص القرآن الكريم ، وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة ، الأمر الذى يتطلب ضرورة إلقاء الضوء على المنظور الإسلامي لهذه القضية الهامة ، وتوضيح بعض الأدلة والشواهد التى تزيل هذه الشبهات ، وتصحح تلك المعتقدات الخاطئة التى قد تعوق تقدم المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة، وتسبب عددا من الأزمات العقلية والاجتماعية المدمرة .

٤- إن إلقاء الضوء على المنظور الإسلامي لقضية تعليم المرأة ، يمكن أن يسهم فى تغيير بعض المفاهيم التقليدية والخاطئة عن قصور المرأة وأدوارها بصفة عامة ، وتغيير اتجاهات الأفراد نحو تعليم البنات ومحو أميتهن ، وزيادة فرص التعليم المتاحة لهن .

خطوات الدراسة :-

سارت خطة الدراسة وفق التساؤلات المطروحة والتى تم تحديدها آنفا ، ومن ثم سارت الخطة وفق الخطوات التالية :-

أولاً : مكانة المرأة في المجتمع من منظور إسلامي :-

جاء التشريع الإسلامي تصحيحاً لكل الأوضاع الجائرة التي سبقت

ظهوره، وتحديداً عادلاً لمكانة المرأة في المجتمع ، حيث قضى على مبدأ التفرقة بين الرجل والمرأة ، وكفل للمرأة مساواة تامة مع الرجل فى كثير من شئون الحياة ولم يفرق بينهما ، إلا حيث تدعو إلي هذه التفرقة طبيعة كل من الجنسين، ومراعاة المصلحة العامة للأمة ، والحفاظ على تماسك الأسرة واستقامة أحوالها ، بل ومنفعة المرأة ذاتها .

فمن الأمور التى يركز عليها القرآن الكريم أن البشر جميعاً متساوون في أصلهم وأن الرجل والمرأة خلقا من نفس واحدة ، فالبشر جميعاً يجمعهم أصل واحد ، وينحدرون من رجل واحد فهم متساوون في الأصل والنشأة ، ومهما اختلفت بعد ذلك الأجناس والألوان فإنه اختلاف في الفروع ، اختلاف طارىء وليس أصلاً (١٩) . هذه الحقيقة نراها فى آيات متعددة منها قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ (٢٠) .

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (٢١). وقوله تعالى أيضاً ﴿ وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ﴾ (٢٢) .

وقد جاءت الأحاديث الشريفة فأكدت هذه الحقيقة وهى أن الرجل والمرأة من أصل واحد ، ومن هذه الأحاديث ما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، وأبو داود والترمذى فى سننها عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال «إنما النساء شقائق الرجال » (٢٣) .

ولأن المرأة والرجل خلقا من نفس واحدة فقد شرع الإسلام المساواة بينهما فيما هو من خصائص الإنسانية فى الدنيا والآخرة ، فما يجب على الرجل

يجب على المرأة ، وخطاب التكليف الإسلامى بأبعاده المتعددة جاء عاما للانسان كجنس بشرى فيه الرجل والمرأة على السواء ، عقيدة عبادة ، ومعاملة وأمرا ونهيا ، وحقوقا وواجبات - الأمن بعض المساحات الخاصة التى ينفرد فيها الرجل ، أو تنفرد فيها المرأة ، حسب الطبيعة النوعية ، ومقتضيات الوظيفة الاجتماعية - وجعل الله ميزان الكرامة والفوز ، التقوى والعمل الصالح ، وليس الذكورة والأنوثة ، لأنها أمور قسرية ، لايد للإنسان فيها (٢٤) ، فالمفاضلة بين أى رجل وأية امرأة إنما يقوم على أمور أخرى خارجة عن طبيعتهما ، وهى الأمور المتعلقة بالكفاية ، والعلم ، ومكارم الأخلاق ، وما إلى ذلك ، كما شأن المفاضلة بين الرجال أنفسهم بعضهم مع بعض ، وإن القوامة التى شرعها الله للرجال ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ (٢٥) ، هى فى الحقيقة مسئولية إشراف وأهلية قيادة وليست تشريفاً ، فالرجل بحكم تخلصه من تكاليف الأمومة يواجه أمور المجتمع لفترة أطول ويتهيأ لها بقواه الفكرية جميعاً ، بينما تحتجز هذه التكاليف المرأة بعضا من أيامها ، هذا إلى جانب أنه المكلف بالانفاق ، وللناحية المالية صلة قوية بالقوامة ، فهو حق مقابل تكليف ينتهى فى حقيقته بالمساواة بين التكليف والحقوق فى محيط الجنسين ومحيط الحياة (٢٦).

فالمرأة ذات مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل ، وهى لا تقل فى مطلق المسئولية عن مسئولية الرجل ، وإن منزلتها فى المثوبة والعقوبة عند الله معقودة بما يكون منها من طاعة أو مخالفة شأنها فى ذلك شأن الرجل ، والآيات القرآنية الدالة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ

وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢٧) هذه الآية الكريمة اشتملت على عشر فضائل جمع الله تعالى فيها بين الذكور والإناث ، وبين أن الثواب العظيم كائن لمن يتحلى بها ، سواء أكان من الذكور أم من الإناث .(٢٨)

وقال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٩) وقوله أيضاً ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾(٣٠) وقال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٣١).

فالآية الأولى تشير إلى أن مسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المذكور وهى أكبر مسئولية في نظر الإسلام ، مسئولية مشتركة بين الرجل والمرأة .

كذلك يبرز التاريخ الذى قصه القرآن الكريم عن الأولين الأمثلة التى تبين أن وضع المرأة من المنظور الإسلامى كوضع الرجل (٣٢) ، حيث أنبأنا القرآن إن الله اصطفى من النساء كما اصطفى من الرجال ، فقد قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٣) وقال أيضاً ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٤) ، كما أنبأنا القرآن الكريم أن الله تقبل المرأة فيما يتصل بشئون العبادة والقيام

بخدمة أماكنها المقدسة كما تقبل الرجل ، وقص علينا في ذلك ما كان من شأن امرأة عمران ، حيث يقول الله تعالى ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ (٣٥)، وكان المعروف أن الذى يقوم بخدمة الأماكن المقدسة هو الذكر دون الانثى ، وفى ظل العرف تحسرت امرأة عمران حينما علمت أن المنذور انثى ، فأبطل الله عليها هذا الظن ، أنبأها أنه فى المهنة التى لأجلها نذرت ما فى بطنها ، يتقبل الانثى كما يتقبل الرجل ، كذلك يسجل القرآن أمر الله عز وجل للنبى بأن يبايع النساء كما بايع الرجال ، علي التمسك بتعاليم الاسلام فقال الله سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣٦) .

كذلك سجل القرآن الكريم العديد من النساء -كما ذكر العديد من الرجال- كان لهن أثر وتدبير ورأى وقوة إيمان ، ففى عهد عيسى يذكرنا بمريم وأمها ، وفي عهد موسى كانت أمه وأخته وامرأة فرعون ، ابنه شعيب ، كما حكى القرآن الكريم قصة تلك المرأة (خولة بنت ثعلبة) التى أتت إلى النبى ﷺ ، وأخذت تجادله فى شأن مادار بينها وبين زوجها (أوس بن الصامت) ، وتراجعه القول مرة ومرة ، حتى نزلت الآيات القرآنية التى تؤكد احترام الإسلام لشأن المرأة ولرأيها ، وتجعلها مجادلة ومحاورة للرسول وجمعها واياه في خطاب واحد ، فقال تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾(٣٧) ، كما قرر رأيها وجعله تشريعا

عاماً خالداً ، فآيات الظهار - كما يرى الشيخ محمود شلتوت - وأحكامه فى الشريعة الإسلامية ، وسورة المجادلة ، ما هى إلا أثرا من آثار الفكر النسائى وصفحة الهية خالدة نلمح فيها صورة احترام الإسلام لرأى المرأة .(٣٨) .

إلي جانب ما سبق وجه الإسلام الآخرين إلى ضرورة تعديل نظرتهم إلى المرأة وإحسان معاملتها ، بعد أن ساءت معاملتها فى عصور ما قبل الإسلام(٣٩) ، وقد تمثل ذلك في الأتى :

- رفع التوهم السائد عند البعض بمسؤوليتها عن غواية آدم وخروجه من الجنة ، فبعض الآيات تؤكد أن ما وقع لآدم عليه السلام لم يكن بسبب حواء وإنما كان بسببهما معا . فقال تعالى ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾ (٤٠)، وقوله أيضاً ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾(٤١) ، بل أن بعض الآيات تحمله وحده المسؤولية حيث يقول القرآن الكريم ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾(٤٢) .

- حرم القرآن الكريم تحريما قاطعا، ما كان شائعاً بين قبائل العربي في الجاهلية من تفضيل الذكور على الإناث ، ومن وأد البنات وهن صغار ، وشنع بتلك العقلية التى كانت تقتل البنات خوفا من العار والفقر وذمها ذماً شديداً ، ومن الآيات التى وردت فى ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ (٤٣) ، وقوله أيضاً ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ﴾(٤٤) ، وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٤٥) ، وبين سبحانه وتعالى أنه وحده الذى يملك أن يمنح لمن يشاء الذكور ، وأن يمنح لمن يشاء الاناث ، وأن يمنح لمن يشاء الذكور والاناث معا ، وأن يجعل من يشاء

عقيماً لا ذرية له . فقال الله سبحانه وتعالى ﴿ لله مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ . أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (٤٦).

- أكد القرآن على ضرورة ووجوب احترام الأم وارضائها، وإرضاء الأب، وقرن ذلك يرضى الله سبحانه وتعالى ، وفى ذلك يقول ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ (٤٧)، بل أنه خص الأم بقدر من الاحترام والتقدير ، نتيجه ما تتحمله من مشاق وآلام الحمل والولادة والارضاع والرعاية، وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ (٤٨).

- كرم الإسلام الزوجة وأمر بحسن معاشرتها، فالمرأة الصالحة هي خير متاع الدنيا وفي ذلك يقول الرسول الكريم فيما رواه مسلم وابن ماجه والترمذى عن ابن عمرو - «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة »(٤٩)، كما أوصى الله الزوج بحسن معاشرة زوجته فقال تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٥٠) .

كما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يوصى بالنساء دائما - ويعتبر حسن معاملة الرجل لزوجته فضيلة من أعظم الفضائل الإنسانية - فى أحاديث كثيرة من ذلك ما جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وأن أعوج شىء فى الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً » وروى ابن عساكر رضى الله عنه عن على رضى الله

عنه - أن رسول الله ﷺ قال «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ، ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم » (٥١) ، كما أكد الرسول على أن حسن معامله البنات ليس له جزاء إلا الجنة ، فقد روى الترمذى عن ابن سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال ، قال رسول الله ﷺ « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة» وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال « من ابتلى - أى : أختبر- من هذه البنات بشىء فاحسن اليهن كن له ستراً من النار»(٥٢).

- إن الإسلام لم يقف عند حد التقدير العام لها ، وإنما ترجم هذا التقدير فى صورة حريات منحها الإسلام للمرأة ، وحقوق حكم على الرجل والمجتمع الوفاء بها ، من هذه الحقوق والحريات حرية العمل ، وحرية التعاقد ، وحق الميراث ، وحرية الولاية الكاملة على مالها .. وغيرها الكثير مما كانت لا تتمتع به قبل الإسلام (٥٣) ، فقد أباح لها الإسلام أن تتعاقد عن طريق البيع أو الشراء أو الهبة أو الوصية ، أو ما يشبه ذلك من العقود ، وأعطاها كامل الأهلية فى تحمل الالتزامات ، وفى تملك ما تريد من أموال أو عقارات أو منقولات ، وأن تتصرف فيما تملكه بالطريقة التى تختارها ، كما قرر القرآن أنه لا يجوز لوليها أو زوجها أن يأخذ شيئاً من مالها ، أو مما سبق أن أتاه لها ، إلا أن يكون هذا وذاك برضاها وعن طيب نفس منها ، وفى ذلك يقول الله تعالي ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ﴾ (٥٤) ، وقوله أيضاً ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ (٥٥)، ولا يجوز لوليها أو لزوجها أن يتصرف فى أموالها إلا بإذنها ، أو بتوكيلها إياه فى التصرف نيابة عنها ، ويجوز لها أن تسقط هذه الوكاله متى شاءت ، وإن توكل من تريد

وكـالته عـنها، وهى في كل ذلـك كمـثل الرجل سـواء بسـواء دون أى تفرقـة بينهـمـا، كمـا أباحت شـريعـة الإسلام للـمرأة أن تخـتـار الزوج الذى تريده ، واشتـرط موافقتـها على الزواج حتى يكون صـحيحا ، وليس من حق وليـها أن يزوجـهـا بمن لا تريد أو بدون إذنهـا ، وأباحت لهـا حق المطالبـة بفـسخ عـقـد الزواج، الذى تم عليهـا بدون إذنها أو رضاها ، وإذا اختـارت المرأة زوجا، ولم يرض وليـها به من غـير سـبب شرعى ، فلهـا أو من حقـها أن ترفع الأمـر إلي القاضى ليتولى عـقد زواجها مع من اختارته زوجاً(٥٦)، كمـا أكدت الشريعة أيضاً على عدم حق وليها فى منعها من العودة إلي زوجها الذى طلقها ، وحقها في تزويج نفسها إذا ترملت(٥٧).

وإذا كان الإسلام قـد منح المرأة هذه الحقوق والحريات، فقـد اشترط بعض الشروط الضرورية لحماية المرأة والاسرة والمجتمع ، فهو يحظر أن يختلى الرجل بأمرأة أجنبية عليه ، ويوجب الاسلام عـلى المرأة فى حالة اختلاطها (فى أماكن العبادة ، وأماكن العلم ، وميدان الجهاد ، والحـياة العامة) ألا تكون متبرجة وإلا تبدى زينـتها وأن تكون ملـتزمة لجـادة الوقار والحـشمة فى حـديثهـا وجلسـتـها وحركـتهـا ، فلا يكون فى شىء من ذلك مـا يبعث الاغراء أو يثـير الشـهوة أو يطمع الذى في قلبه مرض ، ويوجب عليهـا كذلك أن تغض من بصرها ، كما يوجب على الرجال أنفسهم فى هذه الحالة أن يغضوا من أبصارهم ويبتعدوا فى هذه المجـالس عن كل مـا يتنافى مع الأخـلاق الكريمة (٥٨) التى حض علـيهـا الدين .

ثانياً : شواهد وجوب تعليم المرأة من المنظور الإسلامى :-

اتضح مما سبق أن الإسلام قد قـرر أن المرأة مسـؤولة مسـئولية كـاملة عن صلاتهـا وصيامهـا وزكاة مالها وتصـحيح عقيـدتها ، وعن بيتهـا وجماعتـها ،

بالإضافة إلى مسئوليتها العامة عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولعل تحمل المرأة لكل مسئولياتها يجعل لها أو عليها الحق فى أن تتعلم كل ما يمكنها من القيام بهذه المسئوليات على الوجه الذى حددت به ، وطلبت منها عليه .

وإذا كانت ممارسة المرأة للحقوق والحريات والواجبات التى منحها الإسلام لها ، وكلفها بها ، مما يوجب تعلمها ، فقد حث الإسلام على تعليمها وتثقيفها، ولم يفرق بين الرجل والمرأة فى طلب العلم ، وطلب منها التزود بالعلم النافع ، وبالثقافة المفيدة ، وبالمعرفة التى تعود عليهم وعلى أمتهم بالخير .

ولذا فقد ملىء القرآن الكريم – سوره وآياته – بالحض على طلب العلم وتلقيه من المهد إلى اللحد وشرف أهل العلم تشريفاً عظيماً ، كما اهتمت السنة المطهرة بذلك اهتماماً بالغاً سواء أكانوا من الرجال أم من النساء ، فآيات القرآن الكريم الأولى تأمر الناس رجال ونساء – وتحضهم على التعلم وتحصيل المعرفة وتعظم القراءة والكتابة وأدواتها ، قال تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(٥٩) وقوله أيضاً ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾(٦٠) ، ﴿وَالطُّورِ . وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ . فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾ (٦١) ، ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (٦٢) .

كذلك يشير القرآن إلى أنه كلما زاد الإنسان علما زاد فضلاً ، وزاد قربا من الله سبحانه وتعالى ، فقد قرن الله أهل العلم بملائكته فى الشهادة له بالوحدانية ، فقال تعالى ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٦٣) ، وقصر الله خشيته منه على العلماء ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٦٤) وبين الله سبحانه أن العلماء وحدهم هم الذين يعقلون ما يضرب به للناس من أمثال ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها

إلا العالمون﴾(٦٥) . ونفى - عز وجل - التسوية بينهم وبين غيرهم، فقال ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (٦٦) ، ورفع الله درجاتهم - سواء فى الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت أم في الآخرة بعلو المنزلة فى الجنة - عنده فقال ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٦٧) ويقول أيضاً ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(٦٨) .

وتأتى السنة النبوية الشريفة ، فتؤكد هذا الخط القرآنى العام، فأحاديث رسول الله ﷺ فى فضل العلم وأهله وحث الناس على طلبه، أكثر من أن تحصى فى هذه الدراسة ، ويمكن الإشارة هنا إلي كتاب "جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغى فى روايته وجمله " للإمام القرطبى وهو جزءان فاق عدد صفحاته الأربعمائة ، من هذه الأحاديث (٦٩) ما رواه البيهقى فى شعب الإيمان وابن عدى في الكامل عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «طلب العلم فريضة على كل مسلم » وتنكير كلمة مسلم هنا يفهم منه الاستغراق ، بمعنى أنها تستغرق كل المسلمين وتشمل الذكر والأنثى على السواء ، وروى أبو داود والترمذى عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «من سلك طريقاً يطلب منه علماً ، سهل الله له طريقاً إلي الجنة ، وأن العلماء ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر » ومن ذلك أيضاً ما جاء فى الصحيحين عن معاوية بن أبى سفيان عن النبى ﷺ أنه قال « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » وما جاء فى الصحيحين عن أبى أمامه عن النبى ﷺ قال فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ، إن الله عز وجل وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة فى حجرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير ».

وبما تجدر الاشارة إليه أن الإسلام لم يفرق فيما منحه من حق التعليم ، والحض عليه للمرأة المسلمة ، بين أن تكون حرة أو أمة ، بل أن توجيهات الإسلام فيما يتصل بشأن الأمة كانت أكيدة فقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى بردة قال : قال رسول الله ﷺ « أيما رجل كانت عنده وليدة - أى جارية - فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم اعتقها وتزوجها فله أجران (٧٠) .

أما بالنسبة لما أثاره البعض حول تعلم المرأة للكتابة والخط، فيمكن الاستدلال بما ورد فى بعض الآيات القرآنية على ضرورة تعلم المرأة الكتابة فقد قال تعالى ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ (٧١) ، فالخطاب فى هذه الآية جاء بصيغة التذكير إلا أنه شامل للنساء فقد ورد الخطاب مذكراً على طريقة التغليب ، فدل على أنه لافرق بين أن يكون الكاتب رجلاً أو امرأة ، وهو من أدلة وجوب تعلم النساء الكتابة(٧٢) كما أكدت السنة المطهرة على ذلك ، فمما جاء بكتب السنة والتاريخ أن الشفاء العدوية - وهى سيدة من قبيلة عدى - كانت تعرف الكتابة، وكانت تعلم الفتيات فى الجاهلية، وكانت حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، قد تعلمت عنها الكتابة قبل زواجها بالنبى ﷺ ، فلما تزوجها ﷺ ، طلب من الشفاء أن تواصل تعليمها لحفصة ، وأن ترشدها إلي تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة، فقد أخرج الإمام مسلم وأبو داود عن الشفاء قالت : دخل علي النبى ﷺ ، وأنا عند حفصة بنت عمر ، قال لى «ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة، ويقصد ﷺ - برقية النملة : تحسين الخط وتزيينه (٧٣).

مما سبق يتضح أن موقف الإسلام من قضية تعليم المرأة وتعلمها ، قد تجاوز نطاق الاباحة أو الحق ، إلى اعتباره فريضة الهية ، وضرورة إنسانية ، وتكليفا

واجبا وملزما ، فالعلم جوهر إنسانية الإنسان ومن الإيمان، وأى كلام عن تعليم المرأة ينبــغى أن يرد إلي الإيمان ، فـمـا يـجـوز على الإيمان يجـوز عـلي العلم والتعليم »(٧٤) ، ولعل ذلك هو ما دفـع المسلمين الأوائل إلى الحرص الشديد على طلبـه والسعى إلى تحصـيله سواء من جـانب الرجال أم النســاء والشواهد الدالة على ذلك كثيرة سوف نتعرض لها فى الجزء التالى .

ثالثاً: مظاهر الإهتمام بتعليم المرأة فى المجتمع الإسلامى الأول :-

اتضح مما سبق أنه لم يرد نص من القرآن الكريم أو السنـة الشريفـة يحرم تعليم المرأة أو يفرض قيوداً على تعليمها - طالما كانت متحجبة ومحتشمة - بل اننا وجـدنا على العكس من ذلك حضـا على طلب العلم وجـعله فريضـة على كل مسلم ومسلمة ، وعلى هذه المفاهيم والتصورات قامت الحياة التعليمية منذ البعثـة النبوية، وأقبلت النساء علي التـفقه فى الدين، تستفـسر عن آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسـول وتطلب شرح، وتتلقى عن رسول الله كل مـا يتعلق بأمـور دينها ودنيـاها، وهناك الكثير من الشـواهد التى تلقى الضـوء على ذلك منها:-

- كانت المرأة - منذ أن انبـثق فجر الدين الإسلامى - تشـارك فى الحضور إلى المســجد للصـلاة ، وتتلقى عن رسـول الله ﷺ ، بعد أن عـرفت وظيفـة الرسـول التعليـمية ، وسألتـه احـداهن أن يعلمهن ، وقـد استـجاب الرسـول لطلبهن، حدد لهن وقتا ، خصهن فيـه بالإرشاد والتوجيه والتعليم والإجابة عن أسئلتهن، فـقد روى البخارى فى صحـيحه عن أبى سعيد الخـدرى قال : قالت النساء للنبى ﷺ غلبنا الرجـال ، فاجعل لنا يوما من نفسك فـوعدهن يوما ، لقيهن فيه فوعظهن وأمـرهن ، فكان مما قال لهن » ما منكن امرأه تقدم ثلاثة من ولدها، إلا كن لها حجابا من النار« فقالت امرأة:واثنين؟فقال واثنين »(٧٥) وحديث

آخر عن أبي سعيد الخدرى قال : جاءت امرأة إلي رسول الله ﷺ يارسول الله ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله ، فقال : اجتمعن يوم كذا وكذا فى مكان كذا وكذا» ، فاجتمعن فآتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله ، ثم قال « ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كان لها حجابا من النار «فقالت امرأة يارسول الله اثنين ، قال فأعادتها مرتين ثم قال اثنين ، واثنين واثنين (٧٦) . ففى الحديثين اشارة إلي ما كان عليه نساء الصحابة من الحرص على تعلم أمور الدين .

وعن أيوب قال سمعت عطاء ، قال سمعت ابن عباس قال أشهد على النبى ﷺ ، أو قال عطاء أشهد على ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج ومعه بلال فظن أنه يُسمع (النساء) فوعظهن وأمرهن بالصدقة (كأنه اعلمهن أن فى الصدقة تكفيراً لخطاياهن) فجعلت المرأة تلقى القرط والخاتم ، وبلال يأخذ فى طرف ثوبه (٧٧).

- كان على نساء النبى فى المجتمع الإسلامى الأول مسئولية التعلم والتعليم، استنادا إلى قول الله تعالى مخاطباً امهات المؤمنين ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (٧٨) فآيات الله هى القرآن الكريم والحكمة هى السنة النبوية الشريفة ، فقد كان بيت رسول الله ﷺ مدرسة تعاونه فيها نساؤه وبخاصة فيما يتعلق بأمور المرأة المسلمة وشئونها الخاصة ، فضلاً عن متابعتهن للكتاب والسنة المطهرة ، وكان للسيدة عائشة رضى الله عنها النصيب الأوفى فى رواية الحديث ، فهى من أكثر الصحابة رضوان الله عليهم رواية للحديث ، فقد روى لها عن رسول الله ﷺ الف ومائتان حديث وعشرة أحاديث ، وهو مما لا يتوفر لسواها حتى من الرجال ، كما كان لها دوراً بالغاً فى تبليغ الأحكام الشرعية لاسيما للنساء أو مما كان

رسـول الله ﷺ يصنعـه فى بيتـه ومع زوجـاته ، حيث يروى أن امرأة من الأنصار جاءت تسأل رسول الله ﷺ كيف تتطهر من الحيض ؟ فقال : خذى فرصة من مسك فتتبعى بها أثر الدم ، فلم تفهم ، فاستحى رسول الله ﷺ ، فأخذتها عائشة وعلمتها (٧٩) ، وتلك مهمة لها أكبر الأثر فى التبليغ والتعليم، إذا أن تعليم، إذ أن تعليم المرأة وخاصة فى مثل هذه الأمور يكون أكثر إيضاحاً وأبعد عن الحرج ، ونظراً لكثرة علمـها وفقها ، كان الصحابة يرجعون إليها إذا ما خفى عليهم شىء يتعلق بالسنة المطهرة أو بغيرها، فقد جاء عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال « ما كان أصحاب رسول الله ﷺ - يشكون فى شىء إلا سألوا عنه عائشة ، فيجدون من ذلك عندها علماً» (٨٠).

- لم يمنع الحياء المرأة المسلمة من التعلم والتفقه فى دينها ، حيث روى البخارى فى صحيحه عن أم سلمة قالت : جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله إن الله لا يستحى من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ قال النبى ﷺ : إذا رأت الماء ، فغطت أم سلمة (تعنى وجهها) وقالت يارسول الله أو تحتلم المرأة ؟ قال نعم ، تربت يمينك ، فبم يشبهها ولدها، ولهذا وغيره قالت عائشة فيما رواه البخارى رضى الله عنها «نعم النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين . (٨١)

- لم تكن المرأة المسلمة حريصة على تلقى العلم فقط ، بل أيضاً على التثبت والمراجعة حال تلقيه (٨٢) حيث يروى البخارى فى صحيحه أن السيدة عائشة رضى الله عنها كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرف، وأن النبى ﷺ قال : «من حوسب عذب » قالت عائشة، فقلت : أوليس يقول الله تعالى ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ قالت : فقال إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك ﴾(٨٣).

وهذه امرأة مسلمة أخرى لم ترض لنفسها أن تفعل آمراً تتمناه إلا بعد أن تكون على بينة من علم بحكم هذا الفعل ، حيث روى البخارى فى صحيحه أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : إنى انكحت ابنتى ، ثم أصابها شكوى ، فتمزق رأسها (وفى الرواية الأخرى عند البخارى أيضاً وأنها مرضت فتمعط شعرها : أى سقط) وزوجها يستحثنى بها ، أفاصل رأسها فسب رسول الله ﷺ : الواصلة والمستوصلة ، وقد التزمت بما علمت . وهذه امرأة ثالثة تقف لصاحبى جليل موقف الند للند فى مسألة علمية وفقهية حتى يأتى لها بالحجة والدليل ، حيث يروى البخارى فى صحيحه عن إبراهيم عن علقمة : قال : لعن عبد الله بن مسعود الواشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، فقالت أم يعقوب (امرأة من بنى أسد كانت تقرأ القرآن) : ما هذا ؟ قال عبد الله ومالى لا ألعن من لعن رسول الله وفى كتاب الله ، قالت والله قرأت ما بين اللوحين فما وجدته قال والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (٨٤).

- روى البلاذى فى فتوح البلدان أنه عند مجيء الإسلام، كان هناك خمس نساء من العرب يقرأن ويكتبن وهن حفصة بنت عمر وأم كلثوم بنت عقبة وعائشة بنت سعيد وكريمة بنت المقداد والشفاء بنت عبد الله العدوية ، التى كانت تعلم حفصة ، طلب الرسول منها أن تستمر فى تعليمها لها بعد زواجه منها ، فقد كان تعليم القراءة والكتابة ضروريا للذين يرغبون فى رواية الحديث عن الرسول وهو عمل شاركت فيه النساء (٨٥).

- اهتمت المرأة المسلمة بالدين والدراسات الدينية وخاصة رواية الحديث ، وقد عقد ابن سعد جزءا من كتابه « الطبقات الكبرى » لروايه الأحاديث عن النساء ، أتى فيه على أكثر من سبعمائة امرأة روين عن الرسول أو عن الثقات

من أصحابه ، وعنهن روى أعلام الدين وأئمة المسلمين ، وترجم ابن حجر فى كتابه فى تمييز الصحابه حياه ١٥٤٣ محدثة ، قال عنهن : أنهن كن ثقات عالمات ، كما خصص كل من النوادى فى تهذيب الأسماء والخطيب البغدادى، والسخاوى فى الضوء اللامع حيزاً كبيراً للحديث عن النساء اللاتى كانت لهن ثقافة عالية ، وبخاصة في العلوم الدينية ورواية الحديث (٨٦) ، كما كانت هناك عدد من النساء تجلسن للتدريس فى المساجد للرجال والنساء على السواء، فقد كانت النساء تتلقى العلم عن الرجال ، ويقمن بالتدريس بدورهن للرجال ، وكان يجلس فى حلقتهن مشاهير العلماء والمجتهدين ، وقد اعترف بعض مشهورى الرجال بفضل النساء ، فقد ذكر ياقوت في معجم الأدباء ، أن الحافظ ابن عساكر فى تعداده لاساتذته وشيوخه الذين تلقى عنهم ، ذكر من بينهم بضعاً وثمانين امرأة ، وذكر ابن خلكان عن أم المؤيد زينب بنت الأشعرى أنها كانت عالمة ، وأدركت جماعه من أعيان العلماء ، وأخذت عنهم رواية وأجازة ، ويذكر عن طرفة بنت عبد العزيز بن موسى أنها تلقت العلم على عدد من مشهورى عصرها بالأندلس ، وأخذت عنهم كثيراً من كتبهم وسمح لها زوجها بقراءة هذه الكتب على طلابها ، كما كان من النساء من تقوم بتدريس علوم الدين للنساء فى الخوانق ، وينقطعن للعبادة والتدريس كما في الأديرة(٨٧).

كذلك يعترف ابن حزم القرطبى لهن بالفضل العلمى ، حيث قال « لقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن مالا يكاد يعلمه غيرى ، لأنى ربيت فى حجورهن ونشأت بين أيديهن ولم أعرف غيرهن ، ولا جالست الرجال إلا وأن فى حد الشباب وحين تبقل وجهى وهن علمننى القرآن وروينني كثيراً من الأشعار وربتنى على الخط (٨٨).

-ان حرص المرأة المسلمة على التعليم لم يقتصر على الدراسات الدينية ورواية الحديث بل امتد إلي دراسة الأدب والشعر والخط بالإضافة إلي معارف الطب والتمريض وأمراض النساء خاصة، فالسيدة عائشة رضى الله عنها لم تقتصر معارفها علي الشئون الدينية فقط والأحكام ، ولكنها تجاوزت ذلك فاستوعبت آداب العرب وأنسابها ، والطب والشعر ، لذلك قال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت أحد أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة ، وعندما سئلت من أين هذا العلم بالطب أجابت » أن رسول الله ﷺ كثرت أسقامه ، فكان أطباء العرب والعجم يبعثون له ، فتعلمت ذلك منهم . (٨٩)

والحقيقه أن كتب التاريخ والأدب حافلة بأسماء مشاهير النساء المسلمات اللاتى برعن فى الأدب والشعر ، وقد ترجم السيوطى فى مخطوطة"نزهة الجلساء فى أشعار النساء " لسبع وثلاثين شاعرة ، كما كان هناك نساء مسلمات برعن فى صناعة الطب والجراحه والمداواة ، وكان لهن شهره كبيرة ، وقد ترجم ابن أبى أصيبعة لبعضهن في كتابه " طبقات الأطباء " كما اشتهر كثير منهن فى الطرب والغناء ، وقد عرض الاصفهانى فى كتابه الأغانى لذكر أسماء كثير منهن ، كما أسهمت المرأة المسلمة فى ميادين السياسة فناصرت حزباً على حزب كما حدث أبان الصراع بين على ومعاوية (٩٠).

فى ضوء ما سبق يتضح أننا لم نجد فى تعاليم الاسلام نصا واحدا يحرم المرأة من طلب العلم والتعليم ، ولم يسرد التاريخ الاسلامى حادثة واحدة حرمت فيها المرأة من التعليم بدعوى أن الإسلام يمنعها من ذلك ، فقد أعطى الاسلام المرأة حق التعليم والثقافة، وأباح لها أن تحصل على ما تشاء الحصول عليه من علم نافع وأدب رفيع وثقافة متنوعة ، ومعرفة مفيدة بل أن شربعة الاسلام لتوجب عليها ذلك فى الحدود اللازمة لوقوفها على أمور دينها ، وحسن قيامها بوظائفها فى الحياة، على أن يتم ذلك فى مناخ يحفظ لها

كرامتهـا، ويصونها عن التبذل وينأى بها عن كل مـا يتعارض مع الخلق الكريم والسلوك القويم الذى أكد عليه الإسلام. أن كل ما أشاره الفقهاء المسلمون من قضـايا حول تعليم المرأة لا يتناول أو يمس حـقهـا فى التعليم وإنما يمس تنظيـمه وأشكال هذا التنظيم(٩١) ، مـثل ما يجب أن تتـعلمه المرأة ، وهل تتـعلم نفس علوم الرجال ؟ أم ينال كل منهما تعليما مختلفا عن الآخر ؟

رابعاً : ما يجب أن تتعلمه المرأة من منظور إسلامى :-

إذا كـان نوع التـعليم الذى يجب أن تتـعلمـه المرأة يتـحـدد بناء على نظرة المجتمع لهـا وما تتمتع به من استـعدادات وقدرات والدور الاجتماعى وطبـيعة العمل الذى تقوم به ، وبالحاجـات الاجتماعية والاقتصـادية للعصر - فالأصل فى التعليم أنه تلبية لاحتياجات الفرد والمجتمع واحتياجات العصر - ، وإذا كان الإسلام قد ساوى بين الرجل والمرأة من حـيث التكريم والتشريف ، ومن حيث المسـئوليـات الملقـاه على عاتق كـل منهمـا - إلا من بعض المسـاحات حـسب الطبيعـة النوعية ومقـتضيات الوظيفـة الإجتماعيـة - وإذا كانت منزلة المرأة في المجتمع الإسلامى لم تقف عند حد أنها ربة بيت فحسب - على الرغم من أنها مهمتها الأولي - بل تمتد إلى المشاركـة فى الحياة العامة داخل المجتمع من خلال المشاركة بالرأى ، والمشـاركة فى تعليم الصغار ، والمشاركـة في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والمشاركة في المجال الطبى والتـمريضى والمشاركة حتى في الجهاد .. وغيرها من الوظائف العامة والأعمال المشروعة التى تحسن أداءها ولا تتنافى مع طبيـعتها كـأنثى ، أو تتعارض مع الخلق الكريم ، وقـيامها بواجبـاتها المنزلية نحو أولادها وزوجـها وبيتها - لأن هذا هو الأصل فى حـياتها - فليس فى شريعـة الإسلام ما يمنع المرأة من أن تـكوين مدرسة أو تاجـرة ، أو فى عمل شـريف حـلال، تبغى من ورائـه الرزق الحلال الذى يغـنيهـا عن سـؤال الناس وتؤديه بعفاف واحتشام ، وستر لما أمر الله بستره منها . (٩٢)

فى ضوء كل الأسباب السابقة أشار بعض الفقهاء أن ما يجب أن تتعلمه المرأة نوعان (٩٣).

١- فرض عين : وهو الذى تصح بها عبادها وعقيدتها وأمور دينها ، تحسن به تدبير منزلها وتربية أولادها ، وتشمل العلوم الدينية حتى تتعرف أمور دينها وعلوم العربية من نحو وصرف وبلاغه ونقد باعتبارها من الوسائل التى تتعرف بها على العلوم الدينية بالاضافة إلي ما يساعدها علي أداء مهمتها السابقة.

٢- فرض كفاية : ويشمل كل ما هو ضرورى ولازم لنهضة الأمة والمجتمع ، والذى إذا قام به البعض سقط عن الباقين، فإذا كان المجتمع فى حاجة إلى طبيبات لامراض النساء والطفولة تكفين حاجة المجتمع ، لزم اعداد عدد كاف من الطبيبات لهذا الغرض ، كذلك الحال بالنسبة للتمريض والتدريس... وغيرها . وإذا اقتضى الأمر شغل أيدى الرجال عن الأعمال المدنية - أبان المعركة أو الاستعدادلها مثلاً - واحتياج إلي أن تشغل المرأة مكانها فتعليمها واعدادها لذلك العمل يكون واجباً ، أما إذا لم تكن ضرورات تفرض علي الأمة اعداد النساء لثقافة معينة ، فإن ثقافة المرأة المسلمة يجب أن تتجه إلى ما يخدم وظيفتها الطبيعية وهى رعاية البيت من طهى وحياكة وحضانة وعلم التغذية ، ومبادىء الصحة العامة والوقائية ، ودراسة علم نفس الطفل ، وقسط من الفنون يساعد على التذوق الفنى ويعين على تنسيق البيت.

ويرى الباحث أنه طالما لا يوجد محظور في العلم - سواء للرجل أو للمرأة - وأن الإسلام نهى فقط عن تعليم السحر واعتبره كفراً أو قرينا للكفر ، وما وراء ذلك فلا يخرج عن إطار الفريضة والاباحة ، وإذا كانت القاعدة الفقهية تقول "إن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " ، فإن حسن قيام المرأة بدورها

فى المجتمع ودورها كربة بيت بصفة خاصة - باعتبارها مهمتها الأولى - يتطلب ضرورة اطلاق الحرية لها فى أن تتعلم العلوم المختلفة لمن تريد ، طالما كان هذا التعليم يتم فى إطار من العفة والاحتشام وفي ضوء تعاليم الإسلام وأوامره ، وما دامت لا تتعدى الحدود التي وضعها المشرع لبنات جنسها.

فنحن نعيش فى عصر يتسم بالانفجارات المعرفية والتقدم الهائل فى العلوم المختلفة بشكل لم يسبق له مثيل ، وبسرعة معدلات التغيير، ودخول التكنولوجيا الحديثة إلي كل جانب أو قطاع من قطاعات المجتمع ، وبصفة خاصة المنزل ، فتقدم وسائل الاتصال الجماهيرى المسموعة والمرئية والمقروءة، بالإضافة إلي ما يشهده المنزل الحديث من تكنولوجيا حديثة ، يجعل من الضرورى للمرأة إلا يقف تعليمها عن حد معين ، بل لابد أن تكون علي الما م بكل ما هو جديد وحديث ، حتى تستطيع أن تؤدى دورها فى المنزل وتجيب على العديد من تساؤلات أطفالها . كما تتطلب ضرورة أن تتنوع وتتعدد الدراسات والبرامج المقدمة لها ، وكذلك لابد أن يختلف نوع التعليم باختلاف احتياجات المرأة من بيئة إلي أخرى ، فاحتياجات المرأه فى الريف تختلف عن احتياجاتها فى الحضر، كذلك لابد أن يختلف التعليم باختلاف السن والخصائص النفسية ، فاحتياجات الاطفال غير احتياجات المراهقين ، كما يتطلب - أيضاً - ضرورة التوازن والتكامل فى أنواع التعليم المختلفة ، التعليم الاكاديمى والفنى ، والتعليم النظامى وغير النظامى ، وإلا يقتصر تعليم المرأة على الدراسات النظرية أو التعليم النظامى فقط ، ووضع سياسات عامة وبرامج طموحة لمحو الأمية بين النساء العربيات ، والتدريب على تكنولوجيا المنزل الحديث ، ولتوعيتهن بمشكلات المجتمع العربى .

فتعليم المرأة من المنظور الاسلامى ليس بدعة ولكنه مبدأ أساسى وفريضة واجبة على المرأة والرجل على حد سواء.

مراجع الدراسة

١- محمد الرميحى : خطاب مفتوح إلي النساء العربيات - **مجلة العربى** - العدد (٣٢١)- وزارة الاعلام- الكويت- أغسطس ١٩٨٥، ص ٨ - ١٦.

أنظر أيضاً : عبد الحميد الغزالى : كيف تسهم المرأة فى تنمية المجتمع - **مجلة لواء الاسلام**- السنة (٤٦) العددان٦ و٧ صفر ربيع أول ١٤١٢هـ القاهرة، ١٩٩١. ص ٥٣.

٢- محمد عثمان صالح : دور جامعة الدول العربية فى تعزيز مكانة المرأة العربية وتمكينها من المساهمة الفعالة فى التنمية - **أراء** (عدد خاص عن التعليم الوظيفى للمرأة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية) - المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى بسرس الليان - أكتوبر ١٩٧٥. ص ١٧٠.

٣- أبو الأعلى المودودى : **الحجاب** - دار التراث العربى للطباعة والنشر - القاهرة - د. ت ص ١٢٥.

٤- قاسم أمين : **تحرير المرأة** - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٠ ص ٤٢ - ٤٣.

٥- علية حسن حسين : دور المرأة فى تنمية المجتمعات الصحراوية - **المجلة الاجتماعية القومية** - المجلد (١٤) ، العدد (١-٣) المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة - ١٩٧٧ ، ص ٣٢٢.

انظر أيضاً : مناع القطان : **مدى اعداد الجامعات فى الوقت الحاضر للفتيات للاسهام فى تنمية مجتمعاتهن**، بحث مقدم إلى مؤتمر الشباب والتنمية من منظور الاسلام الذى انعقد بجامعة المنوفية بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية فى المدة من ١٧-١٩ نوفمبر ١٩٩٠. ص١ .

- محمد عطية الابراشى : **التربية الاسلامية وفلاسفتها** – ط٣ – دار الفكر العربى القاهرة – ١٩٧٦، ص ١٣٣.

٦- بيومى محمد ضحاوى : التوازن المفقود بين الأسرة والمدرسة – **بحوث المؤتمر السنوى الأولى للطفل المصرى "تنشئته ورعايته" – المجلد الثانى** – مركز دراسات الطفولة – جامعة عين شمس – ١٩٨٨ ، ص ٥٧ – ٥٨ .

٧- عبد التواب يوسف : المرأة ومحو الأمية وتعليم الكبار – آراء – مرجع سابق، ص ٣٠ .

٨ – منير بشور : تكافؤ الفرص التعليمية فى البلاد العربية – **المجلة العربية للتربية** – المجلد التاسع – العدد الثانى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – سبتمبر ١٩٨٩. ص ٣٢ – ٤٢ .

أنظر أيضاً : لا ليتاراموأس : محو أمية النساء ، مطلب عدالة – **مستقبليات**– المجلد (١٩) العدد الرابع – مركز مطبوعات اليونسكو – القاهرة – ١٩٨٩. ص ٥٨٠.

- جلال الدين بلال عوض : دور المؤسسات الحكومية وغير الحكومية فى تعزيز مشاركة المرأة الريفية فى عملية التنمية فى المنطقة العربية – **التربية الجديدة** – العدد (٤٩) – السنة (١٧) – مكتب اليونسكو الاقليمى للتربية فى البلاد العربية – بيروت – إبريل ١٩٩٠ – ص ٦٩ .

٩ – الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : **التعداد العام الحادى عشر للسكان والمنشآت خصائص السكان والظروف المكانية واجمالي الجمهورية** – مرجع رقم ٨٦١/ ٨٩/ أم . ت – القاهرة – يونيو – ١٩٩٠، ص ٨٤ .

- الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : **الكتاب الاحصائى السنوى لجمهورية**

مصر العربية (٥٢-١٩٧٩) – القاهرة – يوليو ١٩٨٠ ، ص ١٦٨ .

- حمدى عبد اللطيف : أثر قيمة التعليم وعمل المرأة على نوع النشاط الاقتصادى المصرى – **مجلة العلوم الاجتماعية** – المجلد (١٦) – العدد (٣) – جامعة الكويت – خريف ١٩٨٨. ص ١٣١.

١٠- سمير لويس سعد : **استيعاب الاطفال الملزمين فى مدارس التعليم الاساسى مسح شامل لمنطقة حضرية وريفية** – المركز القومى للبحوث التربوية – القاهرة – سبتمبر ١٩٨٢ص ٦١.

١١ – حسان محمد حسان : تاريخ تعليم البنت فى مصر ، **تاريخ وقضايا – آراء** – السنة التاسعة – العدد الثالث – المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى بسرس الليان – ١٩٧٩، ص ٤٩ – ٥٠ .

١٢ – محمد العوضى جلال الدين : التمييز بين الذكور والاناث وانعكاساتها على وضع المرأة ودورها فى المجتمع مثال " الأردن والسودان " – **مجلة العلوم الاجتماعية** – المجلد (١٢) العدد (٣) – جامعة الكويت – خريف ١٩٨٤ ، ص ٣٣ .

انظر أيضاً : زينب عبد الرشيد محمد : تعليم المرأة العربية وعلاقتها الوظيفية بالتنمية – **مجلة اليقظة القومية** – السنة (٥) – العدد (٧)- القاهرة- يوليو ١٩٨٩.

- سمير عبده : **المرأة العربية بين التخلف والتحرر** – دار الآفاق الجديدة – بيروت . ١٩٨٠.

١٣- زينب محمد فريد : **تعليم المرأة العربية فى التراث وفى المجتمعات العربية المعاصرة** – الانجلو المصرية- القاهرة – د. ت . ص١١٠.

١٤ - عمر عبيد حسن : مقدمة كتاب ماجد عرسان الكيلانى : مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح ، **كتاب الأمة** - العدد (٢٩) طبعة خاصة بمصر تصدر عن مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة - مايو ١٩٩١ . ص ٢٤.

١٥- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : **البيان والتبين** - جـ ٢ - تحقيق وشرح عبد السلام هارون - الطبعه الخامسة - مكتبة الخانجى - القاهرة - ١٩٨٥ . ص١٨٠ .

١٦- أبو الحسن على بن محمد بن خلف القابس : الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين فى كتاب أحمد فؤاد الاهوانى : **التربية فى الاسلام**- دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٠- ص ٢٨٩.

١٧ - محمد منير مرسى : دراسة عن تعليم المرأة فى الإسلام - **مجلة التربية القطرية** - السنة (٢٠) - العدد (٩٢) - يناير ١٩٩٠ . ص ٨٦.

١٨ - حسان محمد حسان : مرجع سابق . ص ٥٧.

١٩ - محمد أحمد الصادق كيلانى : الطبيعه الانسانية فى القرآن الكريم - **مجلة كلية التربية - جامعة المنوفية** ، السنة الثالثة - العدد الثالث - جزء أول، ١٩٨٨، ص ٢٧٧.

٢٠- سورة النساء ، آية ١ .

٢١- سورة الأعراف ، آية ١٨٩ .

٢٢ - سورة الأنعام، آية٩٨ .

٢٣ - جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى : **الجامع الصغير فى احاديث البشير النذير** - دار القلم للتراث - القاهرة - د.ت . ص ٩١ .

٢٤ – [illegible] : مرجع سابق - ص ٣٤ .

٢٥ – سورة النساء : آية ٣٤ .

٢٦ – زينب رضوان : مكانة المرأة في التشريع الإسلامي – المجلة الاجتماعية القومية – مرجع سابق . ص ٢٧٦ .

٢٧ – سورة الأحزاب : آية ٣٥ .

٢٨ – محمد الغزالي وآخرون : المرأة في الإسلام – مطبعة أخبار اليوم – القاهرة – ١٩٩١ . ص ٤٨ .

٢٩ – سورة النحل : آية ٩٧ .

٣٠ – سورة النساء : آية ١٢٤ .

٣١ – سورة التوبة : الآيتان ٧١ ، ٧٢ .

٣٢ – زينب رضوان : مرجع سابق ص ٢٦٨ .

٣٣ – سورة آل عمران : آية ٣٣ .

٣٤ – سورة آل عمران : آية ٤٢ .

٣٥ – سورة آل عمران : آية ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

٣٦ – سورة الممتحنة : الآية ١٢ .

٣٧ – سورة المجادلة : آية ١ .

٣٨– محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة – دار الشروق – ط ١٦ – القاهرة – ١٩٩٠ – ص ٢٢٧ .

٣٩ – محمد فتح الله الزيادي : تأملات في قضايا المرأة المسلمة – كلية الدعوة الاسلامية – طرابلس ١٩٩٠ – ص ٢٥ .

٤٠- سورة الأعراف : آية ٢٠.

٤١ - سورة البقرة : آية ٣٦ .

٤٢- سورة طه : آية ١٢١.

٤٣ - سورة التكوير : الآيتان ٨، ٩ .

٤٤ - سورة الأنعام : آية ١٤٠ .

٤٥ - سورة النحل : آية ٥٨.

٤٦ - سورة الشورى : الآيتان ٤٩ ، ٥٠.

٤٧ - سورة الاسراء : آية ٢٣ .

٤٨ - سورة الأحقاف : آية ١٤ .

٤٩ - جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى : مرجع سابق ص ١٥٦.
انظر : محمد الحاق : **رحمة الاسلام بالنساء** - دار الأنصار بالقاهرة - د.ت ص ٦ - ١٢ .

٥٠ - سورة النساء : آية ١٩ .

٥١- جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى : مرجع سابق ص ٣٧ ، ١٥٠.

٥٢ - المرجع السابق ص ٢٩٤.

٥٣- سعيد اسماعيل على : **ديمقراطية التربية الإسلامية** - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨٢. ص ٩٨ - ١٠٣.

٥٤ - سورة البقرة : آية ٢٢٩ .

٥٥ - سورة النساء : آية ٤ .

٥٦ - محمد الغزالى وآخرون : مرجع سابق ، ص ٦٣، ٦٧.

٥٧ - زينب رضوان : مرجع سابق . ص ٢٧٥.

٥٨ - سعيد اسماعيل على: مرجع سابق . ص ١٠٣.

انظر فى ذلك :-

- زغلول راغب النجار : **ازمة التعليم المعاصر وحلولها الاسلامية** - المعهد العالى للفكر الاسلامى - مكة المكرمة - ١٩٩٠ . ص ١١٠ - ١١٦ .

- عبد الفتاح جلال : **من الاصول التربوية في الإسلام** - المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى - سرس الليان - ١٩٧٧. ص ٢٢ ، ٢٣.

- عبد الغنى عبود : **فى التربية الاسلامية** - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٧٧ ، ص ١٦١ - ١٦٤ .

- محمد الغزالى وآخرون : مرجع سابق . ص ٥٧ - ٦٠.

٥٩ - سورة العلق : آيات ١-٥.

٦٠- سورة القلم : آية ١ .

٦١ - سورة الطورة : آيات ١ - ٣.

٦٢ - سورة طه : آية ١١٤.

٦٣ - سورة آل عمران : آية ١٨ .

٦٤ - سورة فاطر : آية ٢٨ .

٦٥ - سورة العنكبوت : آية ٤٣ .

٦٦ – سورة الزمر : آية ٩ .

٦٧ – سورة المجادلة : آية ١١ .

٦٨ – سورة البقرة : آية ٢٦٩ .

٦٩ – جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى : مرجع سابق ص ١٩٤، ٣٠٧، ٣١٩، ٢١٦.

٧٠ – أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى : **صحيح البخارى بحاشية السندى** – المجلد الثانى – الجزء الثالث – مطبعة دار إحيد الكتب العربية – القاهرة – د. ت . ص ٢٤٠.

٧١ – سورة البقرة : آية ٢٨٢.

٧٢ – سعيد إسماعيل على : مرجع سابق . ص ١١٠.

٧٣ – محمد الغزالى وآخرون : مرجع سابق . ص ٥٩ .

٧٤ – سعيد اسماعيل على : مرجع سابق . ص ١٠٨.

٧٥ – الإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى : **فتح البارى بشرح صحيح البخارى** – الجزء الأول – دار الريان للتراث – القاهرة – ١٩٨٦ ، ص ٢٣٦ (كتاب العلم) .

٧٦ – أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى – مرجع سابق ص ٢٦٣ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة).

٧٧ – الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلانى – مرجع سابق . ص ٢٣٢(كتاب العلم).

٧٨ – سورة الأحزاب : آية ٣٤ .

٧٩ - الإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى - مرجع سابق ، ص ٤٩٤ (كتاب الحيض).

٨٠ - محمد الغزالى وآخرون : ص ١١٨ ، ١١٩ .

٨١ - الإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى : مرجع سابق ص ٢٧٦ (كتاب العلم) .

٨٢ - عبد الحى الفرماوى : صحوة فى عالم المرأة - مكتبة التراث الاسلامى - القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٩٢ - ٩٤ .

٨٣ - الإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى : مرجع سابق ص ٢٣٧ (باب العلم) .

٨٤ - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى -مرجع سابق ، جـ ٤٢ - ٤٣ (باب اللباس والزينة).

٨٥ - البلاذرى : فتوح البلدان - القاهرة - القاهرة ١٣٥٠ هـ ص ٤٥٨ مأخوذ عن أحمد شلبى : التربية والتعليم فى الفكر الاسلامى وجوانب التاريخ والنظم والفلسفة - دار النهضة المصرية - ط ٨ - القاهرة - ١٩٨٧ . ص ٣٤٠.

٨٦ - أحمد شلبى : مرجع سابق . ص ٣٤٣.

٨٧ - سعيد إسماعيل على : مرجع سابق . ص ١١٠.

٨٨ - ابن حزم : طوق الحمامة فى الالفة والالاف ، تحقيق صلاح الدين القاسمى - دار الشروق الثقافية العامة (آفاق عربية) بغداد - ١٩٨٦، ص ١٢١.

٨٩ - محمد الغزالى وآخرون : مرجع سابق ، ص ٥٨،٥٩.

٩٠ - زينب محمد فريد : مرجع سابق . ص ٨ - ٢٧.

انظر أيضاً : محمد عطية الابراشي : مكانة المرأة فى الإسلام - مكتبة مصر - القاهرة ١٩٨٠ ص ١٣١ - ١٤٦.

٩١ - عبد الرحمن النقيب : ديمقراطية التعليم فى عصور الازدهار الاسلامى " دروس مستفادة" فى **الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس - المجلد العاشر** - تحرير سعيد اسماعيل على - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٨٥ - ص٢٠٣.

٩٢ - محمد العزالى وآخرون : مرجع سابق ص ٦٨ .

٩٣ - عبد المتعال الجبرى : **المرأة فى التصور الإسلامى** - ط ٦ - مكتبة وهبة - القاهرة - ١٩٨٣ . ص ٦٣.

أنظر أيضاً :

- منير محمد الغضبان : **إيتها الفتاة المسلمة** ، ط٤ - مكتبة المنار - الأردن - ١٩٨٤ - ص ٩ - ٣٩.

الخدمات الطلابية

في مصر زمن الأيوبيين والمماليك

الخدمات الطلابية فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك

دكتور / جمال على الدهشان
كلية التربية - جامعة المنوفية

مقدمة :

يمثل عصر الأيوبيين والمماليك - والذى امتد بين أواخر القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) وأوائل القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) - الحلقة الثالثة والأخيرة فى تاريخ مصر فى العصور الاسلامية الممتدة من الفترة الزمنية الواقعة بين الفتح العربى لمصر (٢١ هـ ، ٦٤١ م) والغزو العثمانى لها (٩٢٣ هـ ، ١٥١٧ م) (١) .

وقد حرص المؤرخون والباحثون على الجمع بين الدولة الأيوبية ودولة المماليك (البحرية الجراكسة) فى وحدة متكاملة ، وذلك لأن التغيرات التى حدثت لمكانة مصر السياسية والاقتصادية والدينية والعلمية ووضعها فى العالم الاسلامى وغير الاسلامى ، والتى بدأت مع قيام الدولة الأيوبية ، ظلت فى نمو حتى أواخر حكم دولة سلاطين المماليك ومن ناحية اخرى أبقى المماليك - بعد سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولتهم - على النظم والأوضاع المألوفة عن السلاجقة ، التى احضرها الأيوبيون معهم إلى مصر، وطبقوها فيها لأول مرة منذ الفتح العربى لها، فالمماليك لم يرثوا أملاك ونفوذ الدولة الأيوبية فى مصر فحسب ، بل ورثوا عنها أركان سياستها ونظمها الداخلية ، وهو ما جعل من حكم هاتين الدولتين وحدة متكاملة ذات طابع خاص فى تاريخ مصر فى العصور الوسطى الاسلامية (٢) .

ولقد اكتسب تاريخ مصر خلال هذه الفترة طابعا له ملامحه المميزة ، ذلك أن الأمر لم يقتصر علـى استعادة مصر لوجهها السنى بسقوط الدولـة الفاطمية ، وقيام دولة بنى أيوب، بل كانت مصر طوال هذه الفترة حصـن الاسلام الحصين، وقلب المقاومـة الاسلامية ضد القوى المعادية للاسـلام خاصـة ضد الصليبيين والمغول، فصلاح الدين الأيوبى مؤسس الدولة الأيوبية لـم يـرث عن سيده نـور الدين محمود دولته فى مصر والشام فحسب ، بل أهم من ذلك ورث سياسته فـى تجميع القـوى الاسلامية فـى الشرق الأدنى للنهوض بحركـة جهاد كبرى ضـد القوى المعادية للأسلام ، وهذه السياسـة نفسها هى التى تمسك بهـا سلاطين المماليك (٣) .

ومما تجدر الاشارة اليه أن عصر الأيوبيين والممـاليك لم يكن عصر نشاط حربى فحسب ، بـل كـان أيضا عصر حضـارى واسـع النطـاق شمل النواحـى السياسية والاقتصادية والدينية والعلمية ، وأدى إلى قيام نهضة علمية كبيرة فـى مصر شملت الآداب والعلوم والفنون ، وبلغت أوجها فى عصر سلاطين المماليك، حتى أن بعض المؤرخين قد أطلق عليها النهضة الثانية فى الاسلام (٤).

ولقد توافرت للحركة العلمية الزاهرة التى شهدتها مصر فى عصر الأيوبيين والمماليك عوامل عديدة ساعدت على ازدهارها لعل من أهمها ما عرف عن حب وتقدير سلاطين الأيوبيين والمماليك وامرائهم للعلم والعلمـاء ، ومـا قدموه مـن تسهيلات واعانات وهبات ورعاية لطلاب العلم ، وما تمتع به طلاب العلم فى ذلك العصر مـن خدمـات عديدة ، نحن الآن فى امس الحاجـة إلـى التعرف عليهـا ، وتوضيحها، وبيان دورها فى أزدهار الحركة العلمية فى ذلك العصر .

والواقع أنه على الرغم من أهمية الخدمات الطلابية وضرورتها لنجاح العملية التربوية فإن الدراسات التى تناولت هذا الجانب الهام من جوانب العملية التربويه ما زالت محدودة وقليلة منها دراسة فوزى سليمان (١٩٧٠) (٥) والتى سعت إلى دراسة الخدمات الاجتماعية لطلاب الجامعات فى كل من مصر وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ودراسة خالد الحيدر AL - Haider (٦) عن تقييم الخدمات الطلابية بجامعة الملك فيصل من وجهة نظر الطلاب وأعضاء هيئة التدريس والعاملين بالجامعة ، ودراسة جون Jorn R . A (١٩٨٦) (٧) عن الخدمات الطلابية بكلية التربية بجامعة توليدو ، ودراسة كانجان Kanghun;S (١٩٨٦) (٨) عن الخدمات الطلابية بكليات شمال شرق تايلاند، ودراسة محمد ابراهيم طه خليل (١٩٨٨) (٩) عن جوانب الرعاية الطلابية بجامعة طنطا ، ودراسة عبد العزيز الدعيج (١٩٩٤) (١٠) عن وجهة نظر أولياء الأمور فى الخدمات التربوية والتعليمية التى تقدمها مدارس التعليم العام للطلبة بدولة الكويت، هذا بالاضافة إلى بعض التقارير التى تكتبها بعض الجهات الرسمية ، وهو ما يتطلب ضرورة أن نولى هذا الجانب التربوى الهام مزيدا من البحوث والدراسات ليس اعتمادا فقط على دراسة واقع هذه الخدمات ، أو مقارنة ما يقدم من خدمات طلابية فى مصر بغيره من الدول الأخرى ، لكن بالإضافة إلى ذلك لابد من دراسة ما قدم لطلاب العلم من خدمات فى العصور التى شهدت نهضة علمية وفكرية واسعة النطاق .

مشكلة الدراسة :-

تتحدد مشكلة الدراسة الحالية فى محاولة الاجابة عن التساؤلات التالية :-

١ – ما معنى الخدمات الطلابية ؟ وما مجالاتها ؟ وما أهميتها بالنسبة للعملية التربوية ، ولإعداد طالب العلم إعداداً متكاملاً ؟

٢ – ما أحوال المجتمع المصرى فى عصر الأيوبيين والمماليك ؟ وعلاقة ذلك بالخدمات التى قدمت لطلاب العلم ؟

٣ – ما الخدمات التى قدمت لطلاب العلم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك؟

٤ – ما أهم الجوانب التى يمكن الاستفادة منها فى مجال الخدمات الطلابية فى الوقت الحالى ؟

هدف الدراسة :-

تسعى الدراسة الحالية إلى التعرف على الخدمات التى قدمت لطلاب العلم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، ومدى ارتباط هذه الخدمات بالظروف السياسة والاقتصادية والدينية والعلمية فى ذلك العصر ومحاولة للاستفادة من ذلك فى التأكيد على ضرورة الاهتمام بهذا الجانب الهام من جوانب العملية التعليمية ، والعمل على تطوير هذه الخدمات فى مجتمعنا .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة فى النواحى التالية :-

١ – أنها تتناول جانباً هاماً من الجوانب التى تسهم بدور كبير فى العملية التربوية، وتساعد على تنمية شخصية الطلاب تنمية شاملة متوازنة ، فمن الأمور الهامة فى أى نظام تعليمى ما يتعلق بالخدمات الطلابية التى توفرها

المؤسسة التعليمية وفى مقدمتها خدمات الاقامة والترفية والرعاية الاجتماعية والصحية للطلاب (١١) .

٢ – تتناول هذه الخدمات فى عصر من عصور الهيبة والقوة بالنسبة لمصر الاسلامية فى العصور الوسطى ، فهو – عصر الأيوبيين والمماليك – لم يكن عصراً من العصور الهادئة أو الخامدة فى التاريخ ، وانما كان عصر حركة دائمة ونشاط دائب ، فى الخارج حروب وتوسع وانتصارات ترتب عليها تأمين الوطن الاسلامى فى الشرق الأدنى وفى الداخل حياة صاخبة حافلة بالتيارات الاقتصادية والدينية والاجتماعية والعلمية (١٢) .

٣ – أنه مما يزيد من أهمية هذه الدراسة قلة الدراسات التى تناولت هذا الجانب الهام من جوانب العملية التربوية .

منهج الدراسة :

اعتمدت الدراسة على منهج البحث التاريخى فى محاولة للتعرف على أهم الخدمات الطلابية فى عصر الأيوبيين والمماليك ، وربطها بالقوى الثقافية التى أثرت فيها خلال هذا العصر ، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأولية التى تناولت ذلك العصر، وكذلك الاستعانة بالمصادر الثانوية ذات الصلة بالموضوع .

خطوات الدراسة :

فى ضوء تسؤلات الدراسة وأهدافها سارت خطتها وفق أربع خطوات على النحو التالى :–

أولا : الخدمات الطلابية ، مفهومها ، أهميتها ، مجالاتها :

كلمة خدمة تعنى مجهود او مجهودات هادفة تبذل لتحقيق فائدة، منفعة أو لا يقاف ضرر واقع او محتمل الوقوع (١٣) ، ومن مفهوم الخدمة جاء مفهوم الخدمات العامة والذى يعبر عن اتجاه الحكومة نحو تلبية او ارضاء حاجات اجتماعية عامة فى القطاعات الأساسية فى المجتمع ، والتى يكون من المتعذر عملياً توفير بديل فعال للدور الحكومى فيها ، وهو الدور الذى يؤدى متجردا الا من اعتبارات المنفعة العامة أو الصالح الوطنى وحدة (١٤) .

ولقد جرى العرف فى السياقات التخطيطية والتنظيمية لجوانب التنمية على اعتبار قطاعات معينة قطاعات خدمية أو اجتماعية ، تمييزاً لها عن قطاعات أخرى اصطلح على تسميتها بالقطاعات الاقتصادية أو السلعية أو الانتاجية ، ويقوم هذا التمييز على أساس النظر إلى القطاعات الخدمية (التعليم ، الصحة ، الاسكان ... إلخ) كقطاعات استهلاكية بينما تمثل القطاعات الصناعية قطاعات انتاجية ، فالقطاعات الأولى تمثل هدفاً وغاية فى حد ذاتها بينما تمثل القطاعات الأخرى أهدافاً وسيطة أو وسائل وأدوات ويرتبط بهذا التقسيم الاصطلاحى السائد ما يمكن ملاحظته من أن ناتج القطاعات الاجتماعيه يصب بطريقه مباشرة فى حالة الانسان المعيشية ، بينما يصب ناتج القطاعات الانتاجية بطريقة غير مباشرة ، ومن خلال عمليات ومراحل متعددة فى حالة الانسان المعيشية ، ومن هنا شاعت المقولة بأن الاستثمار فى القطاعات الاجتماعية هو استثمار فى الإنسان (١٥) .

والواقع أن مصطلح الخدمات الطلابية يرتبط بغيره من المصطلحات الأخرى مثل مصطلح الرعاية ، المساعدات الطلابية ، والخدمات التعليمية والمدرسية ..

وغيرها ، وإن كانت هذه المصطلحات تختلف فى بعض جوانبها عن مصطلح الخدمات الطلابية.

فمصطلح الخدمات الطلابية أشمل وأعم من الخدمات التعليمية والذى يقتصر على الخدمات المرتبطة بالجوانب التعليمية والمعرفية دون غيرها من النواحى التربوية، كما أنه أشمل من مصطلح الخدمات المدرسية والتى تتعلق بخدمات المبنى المدرسى والمتمثلة فى وجود المكان المناسب وتزويد المبنى بالمقاعد والمكاتب والتجهيزات ... وغيرها من الساحات والمختبرات والحدائق التى تعد ضرورة للعملية التعليمية (١٦) . كذلك يقتصر مصطلح المساعدات الطلابية فقط على أشكال المساعدات المادية أو النقدية مثل النفقات الدراسية ، أو القروض المالية للطلاب ، أو المنح الدراسية المجانية أو المدعومة (١٧) .

وانطلاقاً مما سبق يعرف البعض الخدمات الطلابية بأنها مجموعة الجهود التى تبذل لحل المشكلات التعليمية والاجتماعية والاقتصادية والصحية للطلاب ، بهدف تهيئة الجو المناسب لنمو الشخصية المتوازنة والمتكاملة ، واتاحة الفرصة للتحصيل العلمى الجيد فى اطار أهداف العملية التربوية (١٨).

ويعرفها البعض الآخر بأنها مجموعة المجهودات التى تهيئها الدولة لطلاب المدارس والجامعات لتحقيق أهداف التربية الحديثة والمتمثلة فى تنمية شخصية الطالب والاستفادة من الفرص والخبرات التربوية إلى أقصى حد تسمح به قدراته واستعداداته (١٩) فهى ترمى إلى توفير الجو الملائم للطلاب للاستفادة مما تقدمه المؤسسة التعليمية إلى أقصى حد مستطاع .

ويعرفها ثالث بأنها مجموعة فالجهود والبرامج التى تعدها وتقترحها معاهد التعليم المختلفة بقصد تنمية شخصية الطلاب إلى أقصى حد مستطاع ،

ومساعدتهم على الاستفادة مما تقدمه مؤسسات التعليم إلى أقصى حد تسمح به قدراتهم واستعداداتهم ، حتى يصبحوا مواطنين قادرين على أن يقوموا بواجباتهم نحو أنفسهم ونحو مجتمعهم (٢٠) .

فى ضوء ما سبق يعرف الباحث الخدمات الطلابية بأنها مجموعة الجهود أو المساعدات التى تقدمها معاهد التعليم المختلفة أو أفراد المجتمع بقصد مساعدة الطلاب على حل مشكلاتهم الاجتماعيـة الاقتصادية والصحية والتعليمية وإتاحة الفرصة للتحصيل العلمى الجيـد ، من خلال توفير المناخ الملائم داخل قاعات الدرس وخارجها لتحقيق النمو المتكامل للطلاب .

أهمية الخدمات الطلابية :

تكمن أهمية الخدمات الطلابية فى النواحى التالية :

١ - الخدمات الطلابية ضرورة لتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية :

فتكافؤ الفرص التعليمية يتطلب تحقيقه على نحو أفضل ضرورة التغلب على الفوارق الاقتصادية والاجتماعية بين الطلاب - ولو بمقدار - بالحد الذى لا يسمح بضياع فرص التعليم على أحد وتحديدها أو التأثير فيها بسوء (٢١) ، فالتكافؤ فـى القبول ، وفى ظروف التعليم الدخلية ، وإن كان ضرورياً لتكافؤ الفرص التعليمية إلا أنه يعتبر غير كاف ، طالما أن بعض التلاميذ يعانون من ظروف اجتماعية واقتصادية صعبة أو غير طبيعية (٢٢) ، فمهما كانت هناك مجانية أو تكافؤ فى الالتحاق والمعاملة داخل المدرسة، فإن التباينات الطبقية التى تتبدى بين الطلاب فى ظروفهم الأسرية والاجتماعية، لابد أن تجعل من مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية شعاراً صعب التحقيق (٢٣)، ومن هنا تأتى أهمية تقديم بعض التسهيلات والاعانات. والاستشارت النفسية والاجتماعية ... وغيرها من

الخدمات للطلاب- لتيسر عليهم سبل العلم وطرق المعرفة منذ المرحلة الأولى وحتى ينتهوا من دراستهم - باعتبارها ضرورة من ضرورات تكافؤ الفرص التعليمية (٢٤) .

وانطلاقاً من هذه الأهمية اصبحت الخدمات التى تقدم للطلاب تشكل جزءاً أساسياً من مخططات أى نظام تعليمى حديث ، ولم تعد المشكلات التى تشغل أذهان المربين قاصره على تلك التى تتصل بنظم التعليم وبرامجه وطرق التدريس وما اليها ، بل ان النواحى التى ترتبط بتهيئة الظروف الاجتماعية الملائمة للتعليم (الخدمات الطلابية) تكاد تنال نفس القدر من الاهتمام (٢٥) .

٢ - الخدمات الطلابية وسيلة لتحقيق النمو المتكامل للطلاب :

انطلاقاً من أن التربية الحديثة تنظر إلى النمو الانسانى باعتباره عملية كلية متكاملة، أصبحت حياة الطالب - ليست المادة الدراسية فقط - هى المحور الذى تدور حوله الحياة التعليمية ، من خلال العمل على توفير خدمات واسعة النطاق تستهدف الاهتمام بالطلاب ، وتوفير المناخ الملائم داخل قاعات الدروس وخارجها لنمو التلاميذ نمواً متكاملاً عقلياً وجسمياً وروحياً واجتماعياً (٢٦) .

فالخدمات الطلابية يمكن أن تسهم فى تهيئة الظروف المناسبة لزيادة فاعلية عمليات التعليم والتعلم ، وتوفير فرصاً واسعة وكثيرة للمواقف والعلاقات الاجتماعية المرغوبة ، وإتاحة الفرص الكافية للتوجيه الفردى والجماعى ... وغيرها من الأمور التى تسهم فى تحقيق النمو المتكامل للطلاب .

فالإقامة فى المدن الجامعية - باعتبارها أحد مجالات الخدمات الطلابية - توفر للطلاب مناخاً مناسباً لنمو شخصياتهم من خلال اشتراكهم فى الأنشطة الثقافية والاجتماعية والرياضية والترويحية التى توفرها هذه المدن ، كما أنها

تتيح للطلاب فرصة واسعة للاحتكاك والتفاعل بعضهم ببعض ، وتفتح المنافذ الفكرية لتبادل الآراء بين الطلاب من مختلف التخصصات ، كل هذا يؤدى فى النهاية إلى تكوين شخصية الطالب تكويناً صحيحاً بعيداً عن هزات نفسية أو مرضية أو اجتماعية أو فكرية تتعرض لها (٢٧) .

كما أن الأنشطة الطلابية التى توفرها المؤسسة التعليمية تسهم فى تزويد الطلاب بطائفة من القدرات والمهارات التى يمكن ان تفيدهم فى حياتهم المقبلة ولعل ذلك هو مادعا الستين Astin إلى التأكيد أن كثيراً من القادة فى إدارة الأعمال والصناعة والحكومة كانوا من قبل قواد فى كلياتهم ، وكثيراً من الممثلين الناجحين تلقوا خبرتهم الأولى فى مسرح الكلية (٢٨) .

٣ – الخدمات الطلابية تعين على التحصيل الدراسى وتحقيق الأهداف المتوخاه من المؤسسة التعليمية :

تلعب الخدمات الطلابية – بجوانبها المختلفة – التى تقدم للطلاب دوراً هاماً فى زيادة قدرتهم على التحصيل الدراسى ، من خلال توفير الظروف المناسبة لعمليات التعليم والتعلم ، حتى يتمكن كل طالب من الاستفادة من برامج التعليم التى تقدمها المؤسسات التعليمية إلى أقصى حد ممكن بغض النظر عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والصحية للطالب ، والتى يكون لها فى الغالب تأثيراً واضحاً على عملية التحصيل الدراسى ، فالظروف العائلية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى يعيش فيها الطالب لها آثارها على درجة تقبله للتعليم وعلى انجازه بالمدرسة ، وهو ما أكدت عليه دراسات عديدة حتى أن إحدى هذه الدراسات قد اشارت إلى أن حوالى نصف الفروق فى التحصيل الدراسى ترجع إلى البيئة الأسرية للتلميذ (٢٩) .

فوجود المكتبات المدرسية والجامعية – مثلا – يعين الطلاب على فهم وهضم ما تحتوية الكتب المدرسية والجامعية ، من خلال ما توفره من معلومات تفسر وتكمل المعلومات الموجودة فى الكتب المقررة وتوسع مداركهم ، وتزيد من ثقافتهم سواء خلال سنى الدراسة أو بعد التخرج والانخراط فى معترك الحياة (٣٠).

كما أن الإسكان الطلابى يوفر للطلاب العديد من جوانب الرعاية سواء ما تعلق منها بالاقامة أو التغذية أو الترفيه بالاضافة إلى جوانب الرعاية الصحية والنفسية ... وغيرها من الجوانب التى يمكن أن تساعد على تهيئة مناخ مناسب يعين الطلاب على الإنجاز والتحصيل الدراسى (٣١) ، كما أن الإسكان الطلابى يوفر على الطلاب – خاصة الفقراء المغتربين – مشقة البحث عن السكن اللائق مما ييسر له سبل البحث والتحصيل .

٤ – الخدمات الطلابية وسيلة هامة لحل المشكلات الاجتماعية للطلاب ووسيلة لحمايتهم من الانحراف :

يواجه المتعلم فى بداية التحاقه بالمؤسسات التعليمية بالعديد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والتعليمية تتمثل فى مشكلات الشعور بالرهبة عند بدء التحاقه بهذه المؤسسات وهو ما أطلق عليه البعض (صدمة المدرسة)، والمشكلات الناجمة عن التغرب والبعد عن الأسرة – خاصة الطالب الجامعى – والمشكلات الخاصة بكيفية قضاء وقت الفراغ ، والاشتراك فى الأنشطة الطلابية، بالاضافة إلى المشكلات المالية ومشكلات الاقامة والاستذكار خاصة بالنسبة للطلاب الفقراء والمغتربين (٣٢) .

والخدمات الطلابية التى توفرها المؤسسات التعليمية المختلفة تعين الطالب على التغلب على معظم هذه المشكلات من خلال ما تقدمه هذه المؤسسات للطلاب

من اعانات مالية وقروض ، ومن خدمات الاقامة والتغذية ، بالاضافة إلى خدمات التوجيه والإرشاد النفسى والإكاديمى التى يتم من خلالها توجيه النصح لهم فيما يتعلق بمشاكلهم الصحية والشخصية وتوجيههم فى دراستهم ومساعدتهم على تحقيق الانسجام فى حياتهم الدراسية وتجنيبهم الوقوع فى بعض الانحرافات الاجتماعية والاخلاقية .

مجالات الخدمات الطلابية :-

إن الدارس لتاريخ التربية بصفة عامة والمؤسسات التربوية بصفة خاصة سيجد أن النواحى المتعلقة بالخدمات الطلابية لم تكن خافية على الراعين الأوائل للتعليم، فحينما أسست المؤسسات التعليمية وجدت بعض النظم لإعالة طلابها ، وتوفير بعض الظروف لتمكينهم من التحصيل العلمى والنمو المتكامل وقد أخذت هذه المؤسسات تطور من خدماتها الاجتماعية على مر العصور متخذة فى ذلك طابعاً للحياة التعليمية يتفق وحاجات طلابها ورغباتهم ، حيث تعددت هذه الخدمات فشملت النواحى المادية والترفيهية والثقافية والصحية ، وأنشئت لذلك اقسام وادرات خاصة مزودة بالاخصائيين فى مختلف هذه النواحى (٣٢) .

ولمزيد من الاهتمام بهذه الخدمات أنشئت الجامعات منصب عميد شئون الكلية أو عميد الكلية المساعد – منذ عام ١٩٣٠ وكانت جامعة شيكاغو هو أو من أنشأت هذا المنصب – أو وكيل الكلية لشئون الطلاب ، ونائب رئيس الجامعة لشئون التعليم والطلاب ، يتولى (القائم بهذا المنصب) تنسيق العلاقات بين الجامعة وبين الطلاب ، بما فى ذلك القبول والسجلات والتقارير ، والخدمات الصحية والالعاب الرياضية والتربية البدنية والاشراف التربوى والاجتماعى على

المدن الجامعية واتحادات الطلاب، وتدبير المساعدات للطلبة وتدبير المنح الدراسية ، وادارة الامتحانات ..... وغيرها [٣٤] .

ولقد حدد قانون تنظيم الجامعات فى مصر الخدمات الطلابية فى قسم خاص منه، هو القسم الخامس الذى تضمن المواد من ١١٢ إلى ١٢٢ ، بالاضافة إلى المواد ٢٧٢، ٢٧٣ ، ٢٧٤ الخاصة بموضوع المكافآت والحوافز الدراسية ، وقد تضمنت هذه المواد عدة خدمات [٣٥] منها :-

- المدن الجامعية لاقامة الطلاب المغتربين بها ، وتقديم وجبات غذائية للطلاب مقابل رسوم رمزية يدفعونها .

- الرعاية الصحية للطلاب .

- توفير مكتبات للطلاب تضم المعارف التي لاغنى للطالب عنها .

- صناديق التكافل الاجتماعى ، والذى يهدف إلى توفير الضمان الاجتماعى بصوره المختلفة .

- منح مكافآت وحوافز دراسية للطلاب المتفوقين أو لتشجيع الدراسات فى بعض الاقسام .

وفى ضوء ما سبق يمكن تحديد مجالات الخدمات الطلابية فى النواحى التالية:

١ - خدمات الاقامة والتغذية :-

وتتمثل هذه الخدمات فيما توفره الدولة للطلاب من مساكن بأجور زهيدة، ومطاعم تقدم لهم الغذاء الكامل بأقل من ثمن تكلفته ، وتتحمل الدولة الفرق من

ميزانيتها ، فالاسكان الطلابى يعد من أهم أنواع الخدمات الطلابية ، إذ لا يزال الاغتراب عقبة كبيرة فى طريق استكمال عدد من الطلاب المتفوقين لتعليمهم بتفوق [٣٦] . حيث أن الصعوبة الآساسية التى تقابل الطالب المغترب عند التحاقة بالجامعة هى الحصول على سكن مناسب تتوافر فيه كافة الامكانات التى تعينه على التحصيل الدراسى وتسهم فى تنمية شخصيته .

وإنطلاقاً من أهمية الاسكان الطلابى بدأت الجامعات - بسبب وضعها المركزى وما يرتبط بذلك من انتقال طلابها للمعيشة بعيدا عن الأسرة - منذ زمن فى الاهتمام بانشاء مساكن للطلبة وزودتها بالمشرفين والاخصائيين، وأصبح الاسكان الجامعى جزءاً مميزا للجامعة وللحياة الجامعية ترصد له الأموال أو تدخل عليه التحسينات ، وتوفر له الكوادر الفنية والاخصائيين فى مجال التغذية والارشاد النفسى والاجتماعى للطلاب [٣٧] .

ولقد أشارت الاحصاءات الواردة فى كتاب مشروع مبارك القومى إلى أن عدد الطلاب المقيمين فى المدن الجامعية قد ارتفع من ٥٥ ألف طالب وطالبة عام ٩١/ ١٩٩٢ إلى ٥١ ألف طالب وطالبة عام ٩٢ / ١٩٩٣ ، وإلى ٦٠ ألف طالب وطالبة عام ٩٣ / ١٩٩٤ ، وقد بلغت نسبة الاسكان الطلابى فى عام ٩٣/ ١٩٩٤ ١١,٥٪ من جملة الطلاب المنتظمين [٣٨] ، وهذه النسبة تدل على اهتمام الجامعات بالاسكان الطلابى ، وان كانت هذه النسبة تختلف من جامعة لأخرى .

٢ - الخدمات الصحية العلاجية والوقائية :

وتتضمن هذه الخدمات الفحص الطبى الشامل المطلوب من كل طالب مستجد خلال أيامه الأولى بالمؤسسة التعليمية، وتقديم المشورة الطبية له عندما يطلبها،

وتقديم العلاج أو اجراء العمليات الجراحية له في حالة مرضه ، بالإضافة إلى الاستشارات النفسية للطلاب المعتلين نفسياً مع الاحتفاظ بسجل كامل للحالة الصحية والبدنية للطالب خلال دراسته (٣٩).

وفي إطار الاهتمام بتقديم هذه الخدمات إلى الطلاب ، صدر القانون رقم ٩٩ لسنة ١٩٩٢ بشأن إنشاء نظام للتأمين الصحي على الطلاب ، بهدف تقديم الخدمات الصحية الوقائية والعلاجية إلى الطلاب في مرحلة التعليم ما قبل الجامعي، وقد شملت هذه الخدمات ، الفحص الطبي للطالب عند بدء التحاقه بكل مرحلة تعليمية ، التحصين ضد الأمراض ، نشر الوعي الصحي بين الطلاب العلاج والاقامة بالمستشفيات واجراء العمليات الجراحية ، صرف الأدوية اللازمة للعلاج، تقديم الأجهزة التعويضية شاملة النظارات الطبية نظير اشتراك رمزي (٤٠) .

أما بالنسبة للتعليم الجامعي فقد نصت المادة ١١٤ من قانون تنظيم الجامعات على أن ينشأ في كل جامعة جهاز خاص بالشئون الطبية يتولى الرعاية الصحية وتوفير العلاج لطلاب الجامعة ، وتعتبر مستشفيات طلاب الجامعة وحدة من وحدات هذا الجهاز ، ويكون له لائحة داخلية تنظم شئونه ويعتمدها مجلس الجامعة (٤١) .

٣ - الخدمات المالية والنقدية :

وتتمثل هذه الخدمات في عدة أمور : -

أ) تخفيض أو الاعفاء من الرسوم الدراسية ، وتيسيره من خلال وضع نظام للاعفاء يقوم على أسس مختلفة منه مايقوم على التفوق الدراسي ، بغض النظر عن حالته المادية ، ومنه ما يقوم على الحالة المادية للطالب بشرط أن يكون حاصلا على تقدير معين ، ومنه ما يقوم على ما يصيب الطالب في أثناء دراسته

من كوارث تؤثر على مقدرته المادية ويستفيد من هذا الاعفاء بصوره المختلفة أعداد كبير من الطلاب (٤٢) .

ب) منح مكافآت دراسية للطلاب المتفوقين على أساس التفوق الدراسي وحده ، الذى يثبت بحصوله على تقدير جيد جداً أو ممتاز ، وهذه المكافآت لاشأن لها بالقدرة المالية فهى تمنح للغنى والفقير (٤٣) .

ج) صناديق التكافل الاجتماعى والتى تهدف إلى تحقيق الضمان الاجتماعى للطلاب – طلاب الجامعات – والعمل على حل المشاكل التى تواجه الطلاب وتحول بينهم وبين الاستمرار الهادىء فى دراستهم بسبب ظرفهم المادية (٤٤) .

د) تقديم قروض للطلبة عن طريق بعض البنوك – بنك ناصر الاجتماعى– لتغطية بعض النفقات اللازمة له مدى سنوات الدراسة وتحصيلها منهم بأسلوب مخفف بعد أن يتم دراسته ويجد عملاً حيث يتم تقسيط هذه القروض على الطلاب بعد تخرجهم والتحاقهم بالوظيفة (٤٥) ، كما تقوم بعض البنوك – بنك فيصل الاسلامى – بتقدير مساعدات للطلاب المحتاجين وغير القادرين على سداد الرسوم الجامعية ورسوم الإقامة فى المدن الجامعية وشراء بعض الكتب (٤٦) .

هـ) توفير ودعم الكتاب المدرسى والجامعى ، حيث تحرص المؤسسات التعليمية بصفة عامة ، والجامعات بصفة خاصة على توفير الكتب المدرسية والجامعية بالسعر المناسب ، وفى هذا الاطار تقوم وزارة التعليم بتوفير الكتب المد رسية للتلاميذ بالمراحل التعليمية المختلفة بأسعار رمزية (كما تعلن) ويجرى توزيع هذه الكتب على مديريات التربية والتعليم والتى تقوم بدورها بتوزيعها على الطلاب فى المدارس التابعة لها ، كما تقوم الوزارة بتقديم خدمة

اضافية تتمثل فى طبع الكراسات والكشاكيل المدرسية وتوزيعها على الطلاب بسعر التكلفة (٤٧) .

أما بالنسبة للتعليم الجامعى ، فإنه يتم توفير ودعم الكتب الجامعية من خلال أساليب عديدة من خلال تقديم مبالغ نقدية للطلاب مساهمة فى شراء الكتب والمذكرات الجامعية ، أو من خلال شراء الكتب من أعضاء هيئة التدريس وبيعها للطلاب بسعر مخفض أو شراء حق التأليف من أعضاء هيئة التدريس وطبع الكتب بمطابع الجامعة وعلى نفقتها الخاصة وبيعها للطلاب بسعر التكلفة (٤٨) .

٤ - خدمات التوجيه والإرشاد الطلابى :

وتعتبر تلك الخدمات جوهر الخدمات الطلابية وعصبها الحيوى ، لما تقدمه من خدمة طلابية شاملة متكاملة تساعد الطلبة على تحقيق أعلى درجة من النمو والتوافق السوى النفسى ، والاجتماعى ، الاكاديمى والمهنى (٤٩) . إذ تشمل إبداء النصح للطالب عند اختيار تخصصه أو مواد دراسته ، والتعرف على أسباب فشله أو عدم تقدمه فى الدراسة ثم إرشاده إلى تجنب ذلك مستقبلاً، بالإضافة إلى المشورة الشخصية فى المدن الجامعية بواسطة الاخصائى النفسى والاجتماعى أو أحد أعضاء هيئة التدريس، وذلك من خلال المشرفين فيها ، أو الريادة الطلابية(٥٠) .

٥ - الخدمات المكتبية :

تعد الخدمة المكتبية من أهم الخدمات التى يمكن أن تقدمها المؤسسات التعليمية للطلاب ، فالمكتبة عصب التعليم المتطور ، وضرورة أساسية من ضروراته (٥١) ، فهى تيسر للطلاب فرص الاطلاع على مجموعة واسعة متنوعة من الكتب ، تعين الطلاب على تحصيل دروسهم وتزيد من رصيدهم

الثقافى والعلمى ، وقد أجمع الرأى على أن المكتبات هى القاعدة الصلبة التى يمكن أن تقوم عليها مختلف الجهود الثقافية فى أى مجتمع من المجتمعات (٥٢)، وتزداد أهمية المكتبات مع ارتفاع أسعار الكتب وصعوبة اقتناء الكثيرين لها .

وإنطلاقاً من أهمية المكتبات تحرص كل مؤسسة تعليمية على وجود مكتبة بها، تضم العديد من المؤلفات العامة والدوريات المحلية والعالمية ، والتى لا غنى للطالب عن الرجوع إليها ، هذا بالإضافة إلى المكتبات المتخصصة الملحقة ببعض الأقسام والتخصصات .

وتوفر المكتبات مجموعة من الخدمات للمترددين عليها ، حيث تضم عدداً من القاعات للإطلاع الداخلى كما أنها تقوم بتسهيل خدمات الإعارة الخارجية تحت شروط معينة ، كما يتوافر بكل مكتبة مجموعة من الاخصائيين يسهمون بدور كبير فى توجيه روادها نحو الاستفادة من كل ما يوجد بها كتب ومراجع (٥٣) .

ولقد أشار أحد التقارير الرسمية الصادرة عن وزارة التربية والتعليم أنه خلال عام ٩٣ / ١٩٩٤ تم تدعيم المكتبات الجامعية بمبلغ ٥٠ مليون جنية لتزويدها بكل ما تحتاج إليه من مصادر المعلومات كالمراجع والدوريات الحديثة التى أصبحت من أهم متطلبات الدراسة الجامعية والبحوث العلمية (٥٤) .

٦ - خدمات النشاط الخارجى والاتحادات الطلابية :

ويقصد بها تلك الخدمات التى تقدمها الإدارة العامة لرعاية الشباب بكل جامعة لطلابها ، والتى تقدمها - أيضا - إدارة التربية الاجتماعية بالتعليمين الأساسى والثانوى ، وهى تلك الادارات المختصة بتنظيم كافة الأنشطة التى يقوم بها الطلاب داخل المؤسسات التعليمية وخارجها مثل النشاط الرياضى والفنى والاجتماعى والثقافى والجوالة والخدمة العامة والأسرة الطلابية (٥٥) .

يضاف إلى هذه الخدمات تلك الخدمات التي تقدم للطلاب ذوى الفئات الخاصة والتى تمثل فى شراء أطراف صناعية ، وكراسى متحركة ، ودراجات للمعوقين ، وبعض الخدمات العامة للمكفوفين من قراءة وتسجيل دروس ومحاضرات على شرائط كاسيت .... وغيرها .

ثانيا : أحوال المجتمع المصرى زمن الأيوبيين والمماليك وعلاقتها بالخدمات الطلابية :

إن التعرف على الخدمات الطلابية فى زمن الأيوبيين والمماليك لا يمكن أن يتم بصورة صحيحة دون التعرف على الأحوال السياسية والاقتصادية والدينية التى سادت المجتمع المصرى وتركت بصماتها على مختلف جوانب الحياة فى ذلك العصر من خلال التعرف عن النواحى التالية :-

أ) الأحوال السياسية :

جاءت الدولة الأيوبية وليدة احداث الحروب الصليبية ، وعاصرت أشد مراحل الحروب ضراوة وعنفاً ، ويعد عماد الدين زنكى الذى وضع أساس حركة الجهاد ضد الصليبيين – الذين اتخذوا من الدين ستاراً لإخفاء ما تنطوى عليه المطامع والأغراض السياسية والتجارية والاستعمارية لهم – ودعا إلى توحيد جهود المسلمين وإلى نبذ ما بينهم من منازعات ، ثم حشد الجهود لقتال الصليبيين ، وسار على نهجه أبنه نور الدين ثم صلاح الدين الأيوبى (٥١) .

وقد تحققت الوحدة الاسلامية زمن صلاح الدين الأيوبى بفضل ما أفاده من جهود سابقية ، وبما اسهم به هو واسرته فى بناء هذه الوحدة بفضل إدراكه ما الخلافة من قوة روحية فى تحقيق غرضه ، يضاف إلى ذلك ما التمسه من الوسائل فى كسب الانصار ، بما بذله من الاقطاعات ، وبما اتصف به من العفو

عن أخطاء خصومه، وبما جرى عليه من التزام أحكام الدين فى سياسته ، فضلاً عما اشتهر به من السخاء والمروءة (٥٧) .

كما ظهرت دولة المماليك فى ظل أحداث وأخطار جسيمة احاطت بالعالم الاسلامى من كل جانب تمثلت فى استيلاء المغول على العراق وسقوط الخلافة العباسية فى بغداد من ناحية ، وتدهور أحوال دولة المسلمين فى الأندلس من ناحية أخرى ، والهجمات الصليبية الشرسة من ناحية ثالثة ، كل هذه الظروف والأحداث ألقت بثقلها على الدولة الأيوبية والمملوكية فى مصر ، وأصبحت أنظار المسلمين فى كل مكان مشدودة إليها (٥٨) وجعلت الاهتمام بالجيش والاسطول والعناية الفائقة بهما أول ما أستأثر بجهود الحاكم فى ذلك العصر ، فدور جيوش مصر وأساطيلها فى ذلك العصر ، لم يتوقف عند حد الدفاع عن البلاد وحماية حدودها ، وانما تخطى ذلك إلى القضاء على الخطر فى منابعة ، فخرجت الحملات من مصر إلى أسيا الصغرى واقليم الجزيرة شمالاً وإلى النوبة المسيحية جنوباً ، وإلى شبة الجزيرة العربية شرقاً ، فى حين غزت الأساطير المصرية قبرص ورودس ، وقامت بدورها فى تأمين مياه البحرين الأبيض والأحمر (٥٩).

والواقع أن هذه الأوضاع كانت سبباً رئسياً فى تجمع صفوة العلماء فى مصر، ذلك ان الأتصال بمصر لم يكن ضرورياً فى شئون الحرب والسياسة فقط ، بل كان أكثر ضرورة فى عالم التجارة والأقتصاد ، وأمراً لا غنى عنه فى النواحى العلمية والتعليمية ، (٦٠) . وهذا الأمر انعكس بدوره على ما قدم لطلاب العلم من خدمات وتسهيلات تتعلق بالاقامة والتغذية وحسن الرعاية

والتوجيه انطلاقاً من أن التعليم والعلم كان أحد الأسلحة التى استخدمها سلاطين الأيوبيين والمماليك للتغلب على ما واجههم من أخطار .

ب) الأحوال الاقتصادية :

تمتعت مصر فى هذا العصر بمركز اقتصادى مرموق ، نتيجة لازدهار التجارة الداخلية والخارجية بها ، والانتعاش الذى شمل جميع مرافق الحياة من زراعة وصناعة وتجارة ، ذلك أن عصر الأيوبيين والمماليك لم يكن عصر نشاط حربى فقط ، بل كان أيضاً نشاطاً حضارياً واسع النطاق ، حيث غدت مصر فيه قبلة التجارة العالمية والمعبر الرئيسى لتجارة الشرق فى طريقها إلى الغرب ، كما اسهمت الحروب الصليبية بشكل واضح فى تنشيط التبادل التجارى بين الغرب المسيحى والشرق الاسلامى ، فنشطت العلاقات الاقتصادية والتجارية بين جمهوريات ايطاليا التجارية من ناحية ومصر من ناحية أخرى ، مما عاد على مصر بثروة ضخمة ساعدت على ازدهار الصناعات وانتعاش العلوم والفنون ، وإقامة المنشآت الدينية وغير الدينية مما لايزال بعضها باقياً يشهد على عظمة مصر من أزهى عصورها (٦١) .

ولقد كان من نتيجة ذلك الانتعاش الاقتصادى أن رصد الأيوبيين والمماليك وامراؤهم وأعيانهم الأموال الوفيرة لانشاء الأربطة والكتاتيب والمدارس والمساجد، وأوقفوا عليها الأموال والدور والأراضى ، وقدموا العديد من الخدمات والاعانات لطلاب العلم والمعلمين ، ونتج عن ذلك نهضة علمية وتعليمية ، كانت من مفاخر ذلك العصر (٦٢) .

ج) الأحوال الدينية :

شهدت مصر فى زمن الأيوبيين والمماليك نشاطاً دينياً ملحوظاً خدمة لمذهب أهل السنة ، ومحاربة لعقائد الدولة الفاطمية الشيعية فى مصر ، من خلال اتخاذ معاهد التعليم مراكز لنشر المذاهب الدينية ، فبقدر ما استخدمها الفاطميون للدعاية للمذهب الشيعى ، قام الأيوبيون والمماليك باستخدامها لمحاربة هذا المذهب والدعوة للمذهب السنى ، وجعلها مراكز لتدريس الحديث وفقه أهل السنة والجماعة (٦٣) وقد تطلب ذلك إقامة العديد من المساجد والزوايا والجوامع والمدارس ساهم فى إقامتها السلاطين والأمراء والأثرياء من أبناء الشعب ، ووفروا للمترددين عليها من الطلاب العديد من الخدمات .

على أن الظاهرة الواضحة التى اتصفت بها الحياة الدينية فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك هى ظاهرة انتشار التصوف ، والتى بدأت تزداد وضوحا فى العصر الأيوبى، ولم تلبث هذه الظاهرة أن أخذت تنتشر فى مصر حتى تركت أثراً واضحاً فى الحياة الاجتماعية فضلاً عن الحياة الدينية والتعليمية فى عصر المماليك، وقد اهتم سلاطين الأيوبيين والمماليك وامراؤهم بانشاء منازل وبيوت للصوفية اطلق عليها الخانقاوات والربط والزوايا (٦٤) .

ولعل ما يجب الإشارة إليه أن الدين لم يكن بمعزل عن الحياة السياسية والاقتصادية فى المجتمع المصرى زمن الأيوبيين والمماليك ، فقد كان القادة الحقيقيون هم علماء الاسلام متمثلين فى رجال العلم والقضاء على اختلاف مذاهبهم ، فقد كان العلماءهم الزعماء الذين يثورون لتصحيح الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية ويتصلون بالحكام ويصطدمون معهم وكان الشعب المصرى أكثر طاعة لعلمائه وقضاته من غيرهم من الملوك والسلاطين فقد كان

العلماء هم الزعماء والمصلحين ، الذين يدفعون عن حقوق الشعب ويبصرونه بهذه الحقوق ، وكانت السطات الحاكمة تستجيب للعلماء والفقهاء لأسباب كثيرة منها أن سلاطين الأيوبيين والمماليك كانوا يعتمدون على الفقهاء ورجال العلم فى الترويج للحرب مع الأعداء ، وحض الناس على البذل والعطاء قبل المعركة، كما كان هؤلاء يشتركون بأنفسهم فى الحروب للتحريض على القتال ، وتبصير الجنود بمعنى الجهاد ، وبث الروح المعنوية بينهم (٦٥) . هذه المكانة للعلم والعلماء جعلت الحكام والأمراء يغدقون على العلماء والطلاب لتمكينهم من أداء دورهم فى تعليم العلم وتعلمه.

د) الأحوال العلمية والفكرية :

كانت مصر فى عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك محوراً لنشاط علمى وفكرى كبير، جاء مصاحباً للنشاط الدينى والاقتصادى المزدهر خلال ذلك العصر، ولعل ذلك هو ما أكده ابن خلدون بقوله « نحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر ، كما أن عمرانها مستبحرو حضارتها حضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين، فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت، ومن جملتها تعلم العلم » (٦٦)، كما أشار السيوطى إلى أن مصر فى ذلك العصر أصبحت «منبع العلم ومحل سكن العلماء، ومحط رجال الفضلاء »(٦٧).

والواقع أن مظاهر النشاط العلمى فى ذلك العصر ، لا تتمثل فقط فى تلك العمائر التى شيدوها فى مصر من مساجد ومدارس وخانقاوات ، ووكالات واسبلة ، ما زالت نماذج منها باقية حتى اليوم ، ولكن تتمثل أيضا فى ذلك التراث الرائع الضخم الذى خلفه العلماء والفقهاء ، والأدباء فى مؤلفاتهم التى ما زالت تعتبر فى طليعة مراجع البحوث والدراسات فى شتى ألوان الثقافة الإسلامية

هذا بالاضافة إلى الاسهامات التى قدمها علماء هذا العصر فى مجال علوم الطب والفلك والكيمياء والفيزياء والرياضيات والحيوان والنبات والجيولوجيا (٦٨) .

وقد توافر للحركة العلمية فى ذلك العصر عدة عوامل داخلية وخارجية ساعدت مجتمعه على ازدهارها لعل من أهمها ما جبل عليه كثير من سلاطين الأيوبيين والمماليك وامرائهم من إقامة العديد من المنشآت الدينية والتعليمية ، وحبس الأوقاف عليها – مما كان سببا فى الأكثار من طالب العلم ومعلمه بكثرة جراياتهم منها (٦٩) ، ولعل فى ذلك ما يفسر قول ابن بطوطة « وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها » (٧٠) وما ذهب إليه القلقشندى من انه قد بنى فى مصر من المدارس ماملأ الاخطاط وشحنها (٧١) – هذا بالاضافة إلى اجلال السلاطين والأمراء للعلم والعلماء ، ومشاركتهم فى تحصيله حيث كانت مجالس السلاطين والأمراء – فى الغالب – حافلة بالعلم والعلماء باعثة على المشاركة والمناقشة فى الأمور الدينية والثقافية (٧٢) .

ولعل الدارس لتاريخ الملوك الذين تعاقبوا على مصر من ملوك بنى أيوب يوشك ألا يصادف فيهم ملكا قليل العناية بالعلم ، أو فاترا فى تشجيع اهله وتقريبهم اليه ، بل أوشك أن يكون كل واحد من هؤلاء شاعراً أو فقيهاً أو محدثا أو ذا تصانيف ونحو ذلك ، فصلاح الدين الأيوبى – مثلا – أهتم بالطلبة اهتماماً كبيراً حيث كان يوفر لهم كل ما يحتاجون من مساكن يأوون اليها ، ويوفر لهم الخبز الذى يوزع عليهم كل يوم ، ورتب لهم المدرسين فى مختلف العلوم، وهيأ لهم الرعاية الصحية ، وفى هذا يقول ابن جبير « اتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ونصب ماريستانا لعلاج من مرض منهم ، ووكل لهم أطباء

يتفقدون أحوالهم ، وتحت ايديهم خدام يأمرونهم بالنظر فى مصالحهم » [٧٣] كما ذكر أيضا ابن جبير (خلال رحلة زار فيها مصر فى عهد صلاح الدين) أن «من يطلب العلم يجد الأمور المعينات ، وأولها فراغ البال ، والسكن الذى يأويه والمعلم الذى يعلمه، الفن الذى يريده ، والأجير الذى يقوم بأحواله » [٧٤]، كما وصف المقريزى بعض سلاطين الأيوبين (السلطان الكامل) بأنه «كان يحب أهل العلم ويؤثر مجالستهم ، وعنده شغف بسماع الحديث النبوى.. وكان يناظر العلماء ، وعنده مسائل غريبة من فقه ونحو ، يمترحن بها ، فمن أجاب عنها قدمه ، وحظى عنده ، وكان يبيت عنده بالقلعة جماعة من أهل العلم ، فينصب لهم أسرة لينامون عليها بجانب سريره ليسامروه [٧٥] .

وعلى نفس الدرب سار سلاطين المماليك ، فكما كانوا تلاميذ بنى أيوب فى الدين والحرب والسياسة ، كانوا كذلك تلاميذهم فى تشجيع العلم والعلماء ورعايتهم – وان كان البعض يرى أنهم لم يكن لهم باع واسع فى المشاركة الفعلية فى الحركة العلمية كما فعل بنى أيوب [٧٦] والشواهد الدالة على ذلك كثيرة منها قول المقريزى مترجما المؤيد شيخ «كان يحب أهل العلم ويجالسهم ، ويجل الشرع النبوى ، ويذعن له » [٧٧] . وقول ابن تعزى بردى مترجما الظاهر جقمق « كان معظما للشريعة ، محبا للفقهاء ، وطلبة العلم .. . وكان يقوم لمن دخل عليه من الفقهاء والصلحاء كائنا من كان [٧٨] ، وقول ابن اياس مترجما الاشراف قايتباى « كان يعظم العلماء ، عارفاً بمقام الناس ، ينزل كل واحد منزلته » [٧٩] .

والواقع أن هذا الاهتمام بالعلم والعلماء وطلاب العلم قد أسهم بصورة واضحة فى توفير العديد من الخدمات لطلاب العلم شملت نواحى الاقامة والتغذية

وحسن التدريس والتوجيه .....وغيرها ، وهو ما سوف نوضحه في السطور التالية .

ثالثاً : الخدمات التي قدمت لطلاب العلم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك :

أدى اهتمام امراء وسلاطين ذلك العصر بالعلم وطلابه إلى توفير العديد من الخدمات لهم ، والتي يسرت لهم سبل العلم وطريق المعرفة منذ المرحلة الأولى، وحتى نهاية مراحل التعليم ، ذلك أن اهتمام المجتمع المصري في ذلك العصر بالتعليم – انطلاقا من النظرة الشاملة للتعليم – لم يقتصر على تنظيم شئونه من حيث اللوائح ومواد الدراسة ، والعلاقة بين المعلمين والطلاب ، والعلاقة بين الطلاب وبعضهم ، بل امتد اهتمامهم ليشمل النواحي الصحية والاجتماعية للطلاب، فضلاً عن الاهتمام بالناحية النفسية لهم واسداء النصائح التي تكفل لهم حسن الرعاية والتربية (٨٠) .

والواقع أن الخدمات التي قدمت للطلاب في ذلك العصر كانت كثيرة ومتعددة، ويمكن عرضها وفق المجالات التالية :

١ – توفير معاهد التعليم المجانية :

حرص المجتمع المصري في عصر الأيوبيين والمماليك على أن يهيأوا لطلاب العلم وراغبي المعرفة معاهد التعليم المجانية ، هذه المعاهد تنوعت وتعددت من كتاتيب إلى مداس ومساجد وخوانق وزوايا وربط ودور للحكمة وبيمارستانات... وغيرها ، وذلك لتلبي هذه المعاهد المتعددة رغبة كل طالب علم، سواء كان من أهل البلاد الأصليين أم من الوافدين عليها ، وقد فتحت هذه المعاهد أبوابها للجميع ، فأفاء إليها طلاب العلم من كل مكان ينهلون من

اساتذتها بغير نفقة أو غرم ، ويجدون فيها إلى جانب المعرفة ألوان شتى من العناية والرعاية (٨١) .

وقد كانت طريقة التحاق الطلاب بهذه المعاهد غاية فى البساطة واليسر ، ولاتتطلب أكثر من ذهاب الطالب إلى المؤسسة التعليمية التى يريدها ، حيث يجلس على الاستاذ الذى يود ، وكانت الحرية مكفولة له فى التنقل بين من يشاء من الاساتذة دون قيد ولا شرط ، كما كان له مطلق الحرية فى اختيار ما يشاء من مواد الدراسة ، والإعراض عما لا يميل إليه (٨٢) .

٢ – خدمات الاقامة المجانية :

امتدت رعاية المجتمع فى ذلك العصر لطلاب العلم لتشمل بالاضافة إلى مؤسسات التعليم المجانية ، توفير المساكن لإقامة طلاب العلم بها خاصة الفقراء والغرباء والنازحين من مختلف ارجاء العالم الاسلامى الذين يعز عليهم الحصول على المأوى اللازم والقوت الضرورى وفى ذلك يشير مصطفى شيحه إلى أن مساكن الطلبة كانت من أهم الوحدات المعمارية التى يجب توافرها فى المنشأة التعليمية بقصد اقامة الطلبة فيها ، ولضمان عدم انقطاعهم عن العملية التعليمية بها، وكانت هذه المساكن فى احيان كثيرة تقع فى طوابق متعددة (٨٣).

ويلخص أحمد فكرى عناصر المدرسة فى فترة العصر الأيوبى فى أربعة عناصر رئيسية هى الاواوين والبهو أو الفناء المكشوف أما العنصر الثالث فتمثل فى بيوت الطلبة بالمدارس وهى عبارة عن غرف صغيرة الحجم بعضها من طابق واحد ومعظمها من طابقين ، ويختلف عددها وشكلها من مدرسة لأخرى تبعاً لحجم المدرسة ، اضافة إلى الوحدات الثانوية الأخرى المطلوبة فى

المدرسة كخزانات الكتب وقاعات الدروس وتناول الطعام وغير ذلك من المنافع الضرورية للمقيمين بالمدرسة (٨٤) .

كما حرص مؤسسوا المدارس فى العصر المملوكى على توفير المساكن اللازمة لاقامة الطلاب والمدرسين بهذه المدارس ، حتى أن بدر الدين بن جماعة قد أشار فى حديثه عن المدارس التى عاصرها « أن هذه المدارس قد وفرت للطلاب الذين كانوا ينزلون بها للدراسة ، الاقامة فى بيوتها » (٨٥) .

وقد اختلفت مساكن الطلاب فى جودتها من مدرسة إلى أخرى ، فذكر المقريزى فى خططه أن بعض المدارس كانت مساكنها من الجودة بحيث يتشاحن الطلاب على السكنى فيها ، ففى حديثه عن المدرسة الصاحبية البهائية قال «كانت من أجل مدارس الدنيا وأعظم مدرسة بمصر ، يتنافس الناس من طلبة العلم في النزول بها ، ويتشاحنون فى سكنى بيوتها ، حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة » (٨٦) ، أما المدرسة الظاهرية – التى انشأها السلطان الظاهر بيبرس – فقد كان للناس فى سكناها رغبة عظيمة ، ويتنافسون فيها تنافسا يرتفعون فيه إلى الحكام » (٨٧) .

ولمزيد من استفادة الطلاب من خدمات الاقامة وضع منشئوا المدارس قواعد عديدة للسكن فى تلك المساكن الداخلية ، بحيث تراعى حالة الساكن الصحية واختيار المسكن الملائم له ، كما روعى المستوى الاخلاقى للطلبة عند اختيار اماكن سكناهم بالمدرسة بما يضمن العلاقة الطيبة بين جميع الساكنين وغيرها الكثير.

ولقد كان الدافع الأساسى وراء وضع هذه القواعد الرغبة فى توفير أكبر قدر من الهدوء والسكينة للقاطنين بالمدرسة حتى يتفرغوا للدراسة والبحث

وإقامة شعائر دينهم، هذا بالإضافة إلى المحافظة على سمعة المدرسة ونظامها من خلال القواعد التى ارتبطت بسلوك ساكنى المدرسة خارج مبناها (٨٨).

٣ - خدمات التغذية والاعانات المالية :

شملت الخدمات الطلابية فى ذلك العصر بالإضافة إلى خدمات الإقامة والسكن ، توفير التغذية المجانية والمساعدة المالية للطلاب فى كل شهر من شهور السنة على امتدادها ، من خلال ما سمى فى ذلك الوقت « معلوم الطالب » (٨٩)، الذى كان ينص عليه - فى الغالب - فى وثيقة أو كتاب الوقف الخاص بالمؤسسة التعليمية ويبدو أن هذا المعلوم لم يكن مواحد بالنسبة للطلبة كلهم ، وإنما كان يختلف حسبما يراه ناظر الوقف من التسوية والفضل ، وهو ما أدى فى كثير من الأحيان إلى اثارة التحاسد والتباغض بين الطلبة (٩٠) ، وفيما يلى بعض المعاليم التى كانت تصرفها بعض معاهد التعليم للطلبة ، والتى تشير بصورة واضحة إلى ما وفره المجتمع فى ذلك العصر من عناية ورعاية لطلاب العلم (٩١) .

- فى المدرسة الصرغتمشية التى أسسها الأمير صرغتمش الناصرى فى مصر (٧٥٧ هـ) كان يصرف للطالب فيها خمسة وخمسون درهماً نقرة كل شهر، ورطلان ز يت طيب كل شهر ، ورطلان صابون كل شهر ، وفى شهر رمضان من كل سنة يصرف لكل طالب رطلان سكر ، ويصرف فى كل سنة فى وقت أوان البطيخ والعنب لكل طالب ثلاثة دراهم نقرة ، وبالإضافة لكل ما سبق كان يصرف على الطلبة فى عيد الأضحى ما يراه الناظر فى ذلك.

- فى جامع ابن طولون رتب الامير يلبغا العمرى (٧٦٧ هـ) دراساً للحنفية فى الجامع ، وقرر لكل طالب من الاحناف فى الشهر اربعين درهماً ، وأردباً من القمح .

- فى خانقاه شيخو التى أنشأها الأمير سيف الدين شيخو العمرى (٧٥٧هـ) كان معلوم الطالب فيها كل يوم الطعام واللحم والخبز ، وفى كل شهر الحلوى والزيت والصابون .

ومما تجدر الاشارة إليه أن الايرادات غير الثابتة للأوقاف ، قد ترتب عليها تغير المعلوم وبالتالى المستوى المعيشى للطلاب والمعلمين ، حيث كان يتذبذب بين فترة وأخرى من علو إلى انخفاض وبالعكس (٩٢) .

٤ - الخدمات المكتبية :-

شكلت الخدمات المكتبية جانباً هاماً من جوانب الخدمات الطلابية فى العصر الأيوبى والمملوكى لأن الكتب فى ذلك العصر لم تكن متيسرة ، ولم يكن باستطاعة الكثيرين اقتناؤها نظراً لارتفاع أثمانها ، وقلة الموجود منهات ، لأن معظم الكتب كانت مخطوطات تعتمد فى كتابتها على النسخ اليدوى (٩٣) وكانت أثمان مواد الكتابة من ورق وجلد ورق وغير ذلك مرتفعة ، ولذلك فتوفير هذه الخدمات للطلبة جنب كثيراً منهم جشع تجار الكتب ومغالاتهم فى أسعار شراءها واستأجارها ، والتى وصلت إلى حد أن أحد التجار كان إذا احتاج شخص ما كتاباً معيناً أحضره له ، وأوهمه أنه استأجره من شخص آخر ولا يمكنه منه إلا إذا دفع إيجاره يومية للكتاب وقد تصل إلى ثمنه أو أزيد منه (٩٤) .

الواقع أن عدم قدرة معظم الطلبة على دفع ثمن الكتاب أو ثمن اعارته ، جعل للمكتبة أو خزانة الكتب أهمية بالغة فى حياة الدارسيين ، وعنصراً أساسياً

فى النظام التعليمى ، فبدونها لا يستطيع الطلبة الاطلاع على شىء إلا ما يمليه عليهم اساتذتهم، ولكن وجودها أتاح لهم فرصة البحث والاطلاع ، ومقابلة ما يدرسون على آراء الفقهاء والعلماء ، كما أتاح لهم وجودها حرية القرءة والبحث فى فروع العلوم المختلفة بصرف النظر عما اذا كانت تدرس لهم من عدمة ، كما اتاحت المكتبة لهم الاطلاع مسبقا على الدروس التى سيقوم المدسون بشرحها أو املائها عليهم ، الأمر الذى يعين على سرعة الفهم والتجارب مع الاساتذة (٩٥) .

وانطلاقا من تلك الأهمية قبل أن توجد مدرسة فى العصر الأيوبى والمملوكى دون أن يحوى تصميمها المعمارى خزانة للكتب (٩٦)، كما لم يقتصر وجود خزانة الكتب على المدارس وحدها بل وجدت فى المساجد والجوامع والخوانق والزوايا.. وغيرها من المؤسسات التعليمية والدينية، كما حرص الأمراء والسلاطين على إنشاء مكتبات خاصة فى قصورهم، وكذلك العلماء والفقهاء والأدباء، وكانوا يتنافسون فى جمع الكتب والمخطوطات النادرة والمصاحف بها (٩٧).

كذلك حرص الواقفون – انطلاقاً من أهمية المكتبة – على المحافظة على خزانة الكتب وتزويدها بالكتب وتخصيص المبالغ المالية اللازمة لامدادها بالأوراق والأقلام لصيانة وترميم الكتب ، لأن نسخ الكتب كان يمثل جهداً شاقاً باهظ التكاليف ، بالإضافة إلى خوفهم من ضياعها نتيجة للإهمال وسوء الاستعمال والسرقة (٩٨) .

ولضمان حسن أداء الخدمة المكتبية توفر فى كل خزانة للكتب مجموعة من الموظفين القادرين على تنظيم الكتب ورعايتها والمحافظة عليها ، فضلاً عن خدمة المترددين عليها من طلبة العلم ، كان من أهمهم الخازن ، والذى يشرف

عليها، ومسئول عن كتبها ، وتنظيم العمل بها وفقاً للشروط التى يعينها له الواقف (٩٩).

ونظراً لما كان لهذه الوظيفة من أهمية فى حياة الطلاب والمشتغلين بالعلم ، فقد اشترط الواقفون فى من يشتغل بهذه الوظيفة أن يكون متمتعا ببعض الصفات والمهارات تتمثل فى الأمانة التدين ، سعة الاطلاع ، الدراية بشئون الكتب ومعرفة محتوياتها ومصنفاتها ، وأحياناً كان تعيين الخازن يتم بموافقة طلبة العلم المنتفعين بالمكتبة ،(١٠٠) كما كان يتولى هذه الوظيفة – فى أحيان كثيرة– أحد العلماء أو الأدباء ليكون عوناً للطلبة والباحثين ويمكنه ارشادهم للكتب والمراجع(١٠١) .

٥ – الخدمات الصحية الوقائية والعلاجية : –

لم يهمل مؤسسو المؤسسات التعليمية فى العصر الأيوبى والمملوكى الرعاية الطبية الشاملة للطلاب والمدرسين ومن معهم من أصحاب الوظائف فى المؤسسة سواء كانوا من المقيمين بها أو المقيمين خارجها ، ولم يقتصر اهتمامهم بهذا الجانب على ما تقدمه البيمارستانات بل حرصوا على تقديمها – الرعاية الصحية– لهم فى مؤسساتهم ، ولذلك اشترطوا على الأطباء الحضور يومياً إلى المؤسسة لمعالجة من يمرض من أرباب الوظائف أو طلبة العلم سواؤء كانوا مقيمين بالمؤسسة أو خارجها وفى كافة الأحوال لا يكلف المريض بالحضور إلى الطبيب ، بل يشترط الواقف ضرورة توجه الطبيب إلى المريض حيث سكنه ، ومن ذلك ما جاء فى وثيقة وقف السلطان حسن أن على الناظر أن يرتب رجلين مسلمين أحدهما عارف بالطب ، خبير بمعالجة الأبدان والثانى عارف بصناعة الكحل ، على أن كلاً منهما يحضر فى كل يوم إلى المكان

المذكور، ويداوى من يحتاج إلى المداواة من أرباب الوظائف والطلبة المقيمين بالأماكن المذكورة أعلاه ، ومن يحضر إليها من الطلبة وأرباب الوظائف ، ممن ليس له سكن بالمكان ، ومن مرض من المقيمين بالأماكن المذكورة أعلاه ، يوجه الطبيب إليه في مكان إقامته ، ولا يكلف المريض الحضور إلى الطبيب ....، ويرتب الناظر رجلاً جرائحيا مجبرا ، يحضر في كل يوم إلى المكان المذكور ، ويفعل نظير ما شرط على الكحال والطبيب باعاليه (١٠٢) .

الواقع أن الخدمات الصحية في ذلك العصر لم تقتصر على النواحى العلاجية فقط ولكنها امتدت بالإضافة إلى ذلك إلى الخدمات الوقائية والتى تمثلت في عزل المرضى – خاصة في حالة الأمراض المعدية – والأهتمام بالنظافة الشخصية والعامة والأعتدال في الأكل والشرب .

حيث حرص الواقفون ومؤسسو المؤسسات التعليمية والدينية على عزل المريض من طلبة العلم أو من أرباب الوظائف خاصة اذا كان مرضهم من الأمراض المعدية ، ورأفة بهم شرطوا لهم أن يتناولوا مرتباتهم حتى شفائهم أو وفاتهم ، مثال ذلك ما جاء في وثيقة وقف السلطان برسباى وأن لا يترك في الوظائف المذكورة أحد به عاهة من جذام أو برص فإن حدث والعياذ بالله تعالى بأحد من أرباب الوظائف المذكورة بشيء من ذلك وحدث له مرض يعجزه عن القيام بوظيفته أجرى عليه معلومه المقرر له إلى حين عافيته أو وفاته (١٠٣) .

كما كانت توجيهات المربين في ذلك العصر للمعلمين بضرورة الأهتمام بنظافة الكتاب والأدوات المستخدمة فيه منعا للتلوث المسبب للأمراض ، فاشترطوا أن يكون لمسح الألواح موضع طاهر مصون نظيف وأن يمنع المعلم الصبيان مما اعتاده بعضهم من أنهم يمسحون الألواح أو بعضها بيصاقهم ،

وذلك لا يجوز لأن البصاق مستقذر ، (١٠٤) كما قدموا العديد من التوجيهات التي تتعلق بنظافة الثوب واليدين أثناء الكتابة، ونظافة وصيانة الكتب وغيرها ، وكذلك نظافة الأمكنة التي يقضى بها التلاميذ حاجتهم ، ونظافة وطهارة الماء الذى يشربون منه خلال اليوم المدرسى (١٠٥).

كذلك أشار المربون إلى أن من مسئولية المعلم تجاه تلاميذه تقديم العون لهم فيما يتعلق بحل مشكلاتهم الصحية، وارشادهم إلى ما يصلح لهم من الغذاء من حيث نوعه وكميته، وإلى أهمية الرياضة البدنية لحفظ الصحة وتحقيق تعلم جيد(١٠٦) .

٦ - خدمات التوجيه والارشاد الطلابى :

لم يهتم منشئو المؤسسات التعليمية فى عصر الأيوبيين والمماليك بتقديم خدمات الاقامة والتغذية والرعاية الصحية فقط ، ولكن امتدت الخدمات بالإضافة إلى ما سبق ذكره إلى خدمات التوجيه والارشاد الطلابى ، والتى تمثلت فى مساعدة المتعلم على اختيار ما يناسبه من الخبرات والمعارف والعلوم التى يسعى إلى تعلمها وإرشاده إلى ما يصلح له منها، فإذا اختار المتعلم فناً من الفنون لمدرسه، وأخطأ فى تقدير استعداداته كان المعلم يوجهه إلى ما يناسبه وما يستطيع فيه استخدام امكاناته استخداماً فعالاً وتوجيهه إلى أفضل طرق المذاكرة والتحصيل، والمساعدة فى حل مشكلاته الاجتماعية، بالإضافة إلى تهيئة الجو التعليمى الخالى من الانفعالات الهائجة الضارة والمواقف المؤلمة (١٠٧) .

مما تجدر الإشارة إليه أن عبء تقديم هذه الخدمات كان يقع على عاتق المعلم وهو ما دعى المربين فى ذلك العصر إلى ضرورة مراعاة المعلم لمثل هذه الأمور، فعلى المعلم - كما يرى ابن جماعه ((أن علم أو غلب على ظنه أنه (المتعلم) لا يفلح في فن، أشار عليه بتركه والانتقال إلى غيره مما يرجى فيه

خلاصه، (١٠٨) كما أن من صميم مسئولياته إرشاد طلابه إلى خير طرق التعليم وتوجيههم إلى كيفية اكتساب عادات صالحة للتحصيل كتخصيص وقت معين للاستذكار، ومكان معين أيضاً للاستذكار، فعنده أن ((أجود الأوقات للحفظ الأسحار، وللبحث الأبكار، وللكتابه وسط النهار والمطالعة والمذاكرة الليل)) (١٠٩) وعنده أيضاً ((أن أجود أماكن الحفظ الغرف وكل موضع بعيدعن الملهيات)) (١١٠) كذلك أشار ابن جماعة إلى أن من مسئوليات المعلم وواجباته ((أن يسعى فى مصالح الطلبة، وجمع قلوبهم، ومساعدتهم بما يتيسر عليه من مال وجاه عند قدرته على ذلك)) (١١١) هذا بالإضافة إلى دعوة المعلم إلى نبذ القسوة فى معاملة تلاميذه والرفق بهم ، ومعاملتهم بمكارم الأخلاق من طلاقه الوجه، وإفشاء السلام وكظم الغيظ وكف الأذى (١١٢) .

والواقع أن هذه التوجيهات لم تكن أمور نظرية فقط، ولكنها كانت تعبر عن واقع فعلى، حيث حوت الكتب التاريخية كثيراً من الأدلة الواضحة المعاملة التى كان يعامل بها المدرسون الطلبة، فها هو العالم نجم الدين الخبوشانى الذى عينه صلاح الدين على المدرسة الصلاحية كان يعامل الطلبة معاملة الأب لأبنائه، ويحاول تقصى أخبارهم والسؤال عن مشاكلهم ومحاولة حلها حتى يتفرغوا لطلب العلم، قد خرج فى بعض الليالى يطوف على بيوت الطلبة، فنظر من الباب فرأى صاحب الخلوة، وقد وضع الكتاب من يده وأنشد الطالب بعض أبيات الشعر، فلما أصبح النهار سأل الخبوشانى الطالب عما به وأخبره بما سمعه منه فى الليلة السابقة، وفى ذلك دلالة على أن المعلم لم يكن يهتم فقط بالقاء الدروس، وإنما أيضاً بأحوال الطلبة النفسية (١١٣) .

رابعاً : الجوانب التى يمكن الاستفادة منها فى مجال الخدمات الطلابية فى الوقت الحالى :

اتضح مما سبق أن الخدمات الطلابية فى العصر الأيوبى والمملوكى كانت تشكل جزءاً أساسياً من النظام التعليمى فى ذلك العصر، ولعل هذا يجعلنا لا ننظر إلى الخدمات الطلابية على أنها نوع من الخدمات الذى يمكن التخلى عنه أو ترشيده، وهو ما يثيره البعض منطلق ترشيد مجانية التعليم، ولكنها يجب أن تشكل ركناً أساسياً من أركان العملية التعليمية .

– أشارت الدراسة – أيضاً – إلى النهضة التعليمية التى شهدها المجتمع المصرى فى ذلك العصر، كان ورائها ما تمتع به طلاب العلم فى ذلك العصر من خدمات عديدة شملت الإقامة والتغذية والصحة وغيرها، ولذلك فتطوير النظام التعليمى والاهتمام به، لابد أن يتم فى ضوء هذا الفهم، بمعنى أنه لا يمكن أن تتم عملية التطوير هذه دون تقديم أنواع مختلفة من الخدمات لرعاية الطلاب فى مختلف مراحل تعليمهم، خاصة أن عدم كفاية الخدمات الطلابية يمثل جانباً من سلبيات واقع التعليم فى مجتمعنا.

– مثل الجهد الأهلى ((الأوقاف)) الجزء الأكبر من تمويل الخدمات الطلابية فى ذلك العصر، وكان الدافع الدينى أحد الدوافع الهامة وراء هذا العمل. كما شكلت التبرعات والهبات التى قدمها الأمراء والأغنياء من أفراد المجتمع مصدراً هاماً من مصادر تمويلها، الأمر الذى يدعونا إلى العمل على تشجيع الجهد الأهلى لتوفير الخدمات الطلابية، وذلك من خلال تشجيع الجمعيات الأهلية للعمل فى هذا المجال، وتوعية أفراد المجتمع بأهمية تعاونهم لتقديم هذه الخدمات .

- توفر لكل مجال من مجالات الخدمات الطلابية مجموعة من العاملين القادرين على توفير هذه الخدمة لطالبيها، وهو ما يتطلب ضرورة الاهتمام بتوفير القوى البشرية المدربة للعمل فى مجال تسهيل حصول الطلاب على هذه الخدمات خاصة فى مجال السكن الطلابى والمكتبات .

- شكل الدور الاجتماعى والاصلاحى الذى قام به علماء ومفكرى هذا العصر، فى الدفاع عن حقوق الشعب ومصالح الوطن - خاصة فى أوقات الحروب الصليبية وحروب المغول - دوراً هاماً فى تمتع العلماء والفقهاء بمكانة مرموقة ومتميزة لدى الحكام وأفراد الشعب، هذه المكانة جعلت الحكام والأمراء بل وأفراد الشعب خاصة الأغنياء يغدقون عليهم وعلى طلابهم الأموال والهبات لتمكينهم من أداء دورهم فى تعليم العلم وتعلمه، الأمر الذى يؤكد أن السبيل نحو زيادة اهتمام المجتمع بالعلم وطلابه هو حسن قيام العلماء بدورهم الاصلاحى فى المجتمع فى الوقت الحالى .

المراجـــع

١ – عبد العزيز الدعيج : الخدمات التربوية والتعليمية التي تقدمها مدارس التعليم العام للطلبة من وجهة نظر أولياء أمورهم بدولة الكويت ((دراسة ميدانية)) – مجلة البحوث النفسية والتربوية – السنة العاشرة – العهد الأول – ١٩٩٤ .

٢ – محمد منير مرسى : التعليم الجامعى المعاصر قضاياه واتجاهاته – دار النهضة العربية – القاهرة – ١٩٧٧ ص ٢٠٧ .

٣ – سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام – دار النهضة العربية – القاهرة – ١٩٦٥ ص ٥ .

٤ – سعد مسفر القعيب : الخدمة الاجتماعية المدرسية منهج وتطبيق – دار المريخ للنشر – الرياض . ١٩٨٦ ص ٢١ .

٥ – عبد الرحمن أحمد الأحمد : الإدارة والخدمات التعليمية فى التعليم العام بدولة الكويت – الكويت – ١٩٨٦ ص ٣٦٢ .

٦ – المرجع السابق ص ٣٦٧ .

٧ – المرجع السابق ص ٣٦٧، ٤٠٢ .

٨ – The New Encyclopedia Britannica, Volume Ix, Ready Reference and index, Helen Hemingway Benton Pub., 1973 P. 624.

٩ – عبد الرحمن أحمد الأحمد : مرجع سابق ص ٢٧٥ .

١٠- سعد مسفر القعيب : مرجع سابق ص ١٠٦ .

١١- محمد إبراهيم طه خليل : مرجع سبق ص ٩ .

١٢- محمد أحمد الغنام : مسئولية التعليم فى تذويب الفوارق بين الطبقات فى مجتمعنا - صحيفة التربية - القاهرة - نوفمبر ١٩٦٢ ص ١٠٩ .

١٣- زينب حسن حسن : المجانية فى مصر هل دعمت أم خربت ديموقراطية التعليم ؟ - الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس - المجلد العاشر، تحرير سعيد اسماعيل على - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٨٥ ص ١١٩ .

١٤- جمال على الدهشان : مرجع سابق ص ٣٣ .

١٥- فوزى يوسف سليمان : مرجع سابق ص ١-٣ .

١٦- عبد القادر النعمانى : على هامش الأبوة الجامعية، الخدمات التى تؤديها الجامعة للطلبة، فى كتاب نظرات فى التعليم الجامعى، تحرير تشارلز فرانك، ترجمة محمد توفيق رمزى - دار المعرفة القاهرة ١٩٦٣ ص ٢٠٩ .

١٧- محمد منير : مرجع سابق ص ١٠٧ .

١٨- Astin A. : Fourcritical Years : Effects of College on Beliefs attitudes and Knowledge, Washington, Jossey Bass, 1978 . P . 115 .

١٩- لمزيد من التفاصيل عن هذه الدراسات يمكن الرجوع إلى :

- رجب عبد الوهاب عبد اللطيف : دراسة تحليلية لمفهوم تكافؤ الفرص التعليمية - بحوث مؤتمر نحو رؤية نقدية للفكر التربوى العربى - المجلد

الأول- رابطة التربية الحديثة بالاشتراك مع الجامعة العمالية بالقاهرة - ١٩٨٩ ص ١٥٦-١٦٠ .

٢٠- حسن رشاد : المكتبات ورسالتها - دار الفكر العربى - القاهرة. د ت ص ٣ .

٢١- مجدى محمد صابر يونس : الاتفاق والاختلاف حول الحقوق الطلابية بين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس بجامعة المنوفية - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية - جامعة المنوفية ١٩٨٨ص ٩٢ .

انظر كذلك : The Encyclopedia of Education, Lee c. Deighton -(ed.) Volum 8, The macmillan company, The Free press pp. 529 535 .

لمزيد من التفاصيل عن هذه الصدمة يمكن الرجوع إلى :

Car I Weinderg : Education is Ashuck, How the Eductional systems is failing aut children , William morrow G . Company, Inc . New York . 1975 .

٢٢- عبد المنعم شوقى : دور الجامعة فى حل المشكلات الاجتماعية للطلاب، مجلة اتحاد الجامعات العربية - العدد الثامن - سبتمبر ١٩٧٥ ص ١٧-٢١ .

٢٣- فوزى يوسف سليمان : مرجع سابق ص ٣ .

٢٤- روبرت م . ستروزير : على هامش الأبوة الجامعية، الخدمات التى تؤديها الجامعة للطلبة، فى كتاب نظرات فى التعليم الجامعى، مرجع سابق ص ١٩٥ .

٢٥- قانون تنظيم الجامعات ولائحته التنفيذية وفقاً لآخر التعديلات - الطبعة الخامسة - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة - ١٩٩٠ . ص ١٣١-١٣٦ .

تتحمل الدولة كمساهمة لتقديم هذه الخدمة ما يزيد عن ١٣٠ جنيهاً شهرياً لكل طالب، وهو ما يمثل الفرق بين التكلفة الفعلية، وما يتحمله الطالب كمقابل رمزى لهذه الخدمة، وفق ما جاء فى كتاب وزارة التربية والتعليم: مشروع مبارك القومى، انجازات التعليم فى ٣ أعوام - القاهرة - أكتوبر ١٩٩٤ .

٢٦- زينب محمد فريد : دراسات فى التربية . مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة- ١٩٨٢ ص ١٦٤ .

٢٧- محمد إبراهيم طه خليل : مرجع سابق ص ١٢٧ .

٢٨- وزارة التربية والتعليم : مشروع مبارك القومى - مرجع سابق ص ١٥٥.

٢٩- روبرت م . ستروزير : مرجع سابق ص ١٩٦ .

٣٠- قانون ٩٩ لسنة ١٩٩٢ فى شأن التأمين الصحى على الطلاب - القاهرة- يوليو ١٩٩٢ .

٣١- قانون تنظيم الجامعات ولائحته التنفيذية - مرجع سابق . مادة (١١٤) ص ١٣٢ .

٣٢- السعيد مصطفى السعيد : ديموقراطية فرص التعليم الجامعى فى الجمهورية العربية المتحدة - فى كتاب نظرات فى التعليم الجامعى - مرجع سابق ص ١٢٠ .

٣٣- المرجع السابق : ص ١٢٠ .

٣٤- قانون تنظيم الجامعات ولائحته التنفيذية - مرجع سابق ص ١٣٢ .

٣٥- السعيد مصطفى السعيد : مرجع سابق ص ١٢١ .

٣٦- محمد إبراهيم طه خليل : مرجع سابق ص ١٦٠ .

٣٧- وزارة التربية والتعليم : مرجع سابق ص ٧٠-٧١ .

٣٨- محمد إبراهيم طه خليل : مرجع سابق ص ١٣٩-١٤٢ .

٣٩- سهام أبو عيطه : ادراك الأخصائيين الاجتماعيين والاداريين فى الهيئة العامة للتعليم التطبيقى والتدريب للخدمة الاشرافية ، دراسات تربوية - المجلد السابع- الجزء ٤٦ سلسلة أبحاث تصدر عن رابطة التربية الحديثة بالقاهرة - ١٩٩٢ ص ٢٦٢ .

٤٠- روبرت م . ستروزير : مرجع سابق ص ١٩٩ .

٤١- وزارة التربية والتعليم : مرجع سابق ص ١٥١ .

٤٢- سعيد اسماعيل على : معاهد التربية الإسلامية - دار الفكر العربى . القاهرة - ١٩٨٦ ص ٣٨٧ .

٤٣- جامعة المنوفية ، الإدارة العلية لمركز المعلومات : الكتاب الاحصائي السنوى لعام ١٩٩١ - إدارة الاحصاء - ١٩٩١ .

٤٤- وزارة التربية والتعليم : مرجع سابق ص ١٥١ .

٤٥- لمزيد من التفاصيل عن هذه الأنشطة يمكن الرجوع إلى :

- نوال حلمى مرسى : دراسة للأنشطة الطلابية فى الجامعة ودورها فى تثقيف طلابها - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية البنات - جامعة عين شمس - ١٩٨٥ .

- محمد بسيونى أحمد على : دراسة عن مشاركة طلاب جامعة المنوفية فى الأنشطة الطلابية - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية - جامعة المنوفية - ١٩٨٩ .

- حميدة عبد العزيز إبراهيم : بعض مشكلات الأنشطة الطلابية بالجامعة ((دراسة ميدانية)) مجلة كلية التربية - جامعة الاسكندرية - المجلد الخامس - العدد الأول - ١٩٩٢ .

٤٦- السيد الباز العرينى : الشرق الأدنى فى العصور الوسطى (١) الأيوبيون - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٦٧ ص ٥-٧ .

٤٧- المرجع السابق : ص ٧ .

٤٨- على سالم النباهين : نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك فى مصر - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٨١ ص ١٢٣ .

٤٩- سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى عصر الأيوبيين والمماليك - مرجع سابق ص ٣٥١ .

٥٠- على سالم النباهين : مرجع سابق ص ١٢٦ .

٥١- سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى عصر الأيوبيين والمماليك - مرجع سابق ص ٤٤٩ .

٥٢- محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى - المجلد الثانى - الطبعة الثانية - مكتبة الآداب - القاهرة - ١٩٦٥ ص ٢٦٣ .

٥٣- على سالم النباهين : مرجع سابق ص ١٤٢ .

٥٤- سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى عصر الأيوبيين والمماليك - مرجع سابق ص ٤٤٦ .

٥٥- على سالم النباهين : مرجع سابق ص ١٤١ .

٥٦- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : مقدمة ابن خلدون - طبعة دار الشعب - القاهرة - د.ت ص ٤٠٠ .

٥٧- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر) : حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة - جـ١، تحقيق أبى الفضل إبراهيم - ط٢ - مكتبة الحلبى- القاهرة - ١٩٦٨ ص ٩٤ .

ان ما كشف من هذا التراث ضئيل جداً، فما زالت مكتبات العالم ومتاحفه زاخرة بالآف المخطوطات التى ترجع إلى ذلك العصر، والتى لم يستطع العلماء

حتى الآن تحقيقها ونشرها ، أو حتى استيعاب كل ما جاء فيها من حقائق ومعلومات .

٥٨- عبد الرحمن زكى : من تراث مصر العلمى فى العصر المملوكى : فى كتاب بحوث فى تاريخ الحضارة الإسلامية، أعدها للنشر السيد عبد العزيز سالم- مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية - ١٩٨٣ ص ١٣٧ .

٥٩- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : مرجع سابق ص ٤٠٠ .

٦٠- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتى) : رحلة ابن بطوطة - دار بيروت - بيروت - ١٩٨٠ ص ٣٧ .

٦١- القلقشندى (حمد بن عبد الله) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة - د ت ص ٣٦٤ .

٦٢- لمزيد من التفصيل عن هذه المجالس انظر :

محمد كمال الدين عز الدين : مرجع سابق ص ٧٩-٨٥ .

٦٣- ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد الكنانى الأندلسى) : رحلة ابن جبير - دار صادر - بيروت - ١٩٨٨ - ص ١٥ .

٦٤- المرجع السابق ص ٢٢٨ .

٦٥- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) : السلوك لمعرفة دول الملوك - ج٢ - تحقيق محمد مصطفى زيادة - الطبعة الثانية - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٦ ص ٢٥٨ .

٦٦- على سالم النباهين : مرع سابق ص ١٤٦-١٤٧ .

٦٧- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) : مرجع سابق ص ٥٥٠ .

٦٨- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، تحقيق محمد محمد أمين، ونبيل عبد العزيز - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٨ ص ٢٩٦ .

٦٩- ابن إياس (أبو بكر محمد بن أحمد) : بدائع الزهور فى وقائع الدهور- ج ٣ - تحقيق محمد مصطفى، مطابع مكتبة عيسى البابى الحلبى - القاهرة - ١٩٦٣ ص ٣٢٦ .

٧٠- عبد الغنى محمود عبد العاطى : التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك - دار المعارف - القاهرة ١٩٨٠ ص ٢٩٥ .

٧١- حسن إبراهيم عبد العال : فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة - مكتبة التربية العربى لدول الخليج الرياض - ص٤٩ .

٧٢- عفاف سيد محمد صبره : المدارس فى العصر الأيوبى، فى كتاب تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية - مرجع سابق ص ١٨٦ .

٧٣- مصطفى عبد الله محمد شيحه : دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية - فى كتاب تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية - مرجع سابق ص ٥٨ .

٧٤- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية - ج ٢- دار صادر- بيروت - د. ت . ص ٣٧١ .

٧٥- المرجع السابق ص ٣٧٩ .

لمزيد من التفاصيل عن هذه القواعد يمكن الرجوع إلى :

- صلاح السيد عبده رمضان : تطور المدارس فى العالم الإسلامى منذ نشأتها حتى الفتح العثمانى - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية ببنها- جامعة الزقازيق - ١٩٩٠ .

- ابن جماعة (بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله) : تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم - دار الكتب العلمية - بيروت - د . ت .

- عبد الغنى محمود عبد العاطى - مرجع سابق .

٧٦- عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق ص ٣٠٦ .

٧٧- محمد محمد عبد القادر الخطيب : دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية - مطبعة الحسين الإسلامية - القاهرة - ١٩٩١ ص ٢٣٣ .

٧٨- مجاهد توفيق الجندى : دراسات وبحوث جديدة فى تاريخ التربية الإسلامية - دار الوفاء للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٨٤ ص ٢٤٣ .

٧٩- محمد محمد عبد القادر الخطيب : مرجع سابق ص ٢٣٣ .

٨٠- مجاهد توفيق الجندى : مرجع سابق ص ٢٤٤ .

٨١- محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٨٠ - ص ٢٥٩ .

٨٢- عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق ص ٢٤٨ .

٨٣- المرجع السابق ص ٢٤٩ .

٨٤- محمد محمد أمين : مرجع سابق ص ٢٥٥، عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

٨٥- زبيدة محمد عطا : مكتبات المدارس ((خزانة الكتب)) فى العصر الأيوبى والمملوكى فى كتاب تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية - مرجع سابق ص ٢١١.

٨٦- زبيدة محمد عطا : مرجع سابق ص ٢١٧ .

٨٧- المرجع السابق ص ٢٢٠ .

٨٨- عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق ص ٢٥٣ .

٨٩- زبيدة محمد عطا : مرجع سابق ص ٢٢٠ .

٩٠- وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف ص ٤٥٧، ٤٥٨. نقلاً عن محمد محمد أمين - مرجع سابق . ص ١٧٥ .

٩١- وثيقة وقف السلطان برسباى ٨٨٠ أوقاف ص ٢٠٨ نقلاً عن محمد محمد أمين - مرجع سابق ص ١٧٧ .

٩٢- عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق ص ١١٠ .

٩٣- حسن إبراهيم عبد العال : مرجع سابق ص ٧٩ .

٩٤- المرجع السابق ص ١٠٣ .

٩٥- حسن إبراهيم عبد العال : مرجع سابق ص ١٣٥-١٣٦ .

٩٦- ابن جماعة (بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله) : مرجع سابق ص ٥٧.

٩٧- المرجع السابق : ص ٧٢ .

٩٨- المرجع السابق : ص ٧٣ .

٩٩- المرجع السابق : ص ٧٣ .

١٠٠- المرجع السابق ص ٢٣ .

١٠١- عفاف سيد محمد صبره : مرجع سابق ص ١٨٨ .

الخدمات الطلابية فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك

((ملخص الدراسة))

د / جمال على الدهشان

كلية التربية – جامعة المنوفية

انطلاقاً من أهمية الخدمات الطلابية وضرورتها لنجاح العملية التربوية، ومن قلة الدراسات التى تناولت هذا الجانب الهام من جوانب العملية التربوية، سعت الدراسة الحالية إلى التعرف على الخدمات الطلابية التى قدمت لطلاب العلم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك – باعتباره من العصور التى شهدت نهضة علمية وفكرية واسعة النطاق، وتمتع فيه طلاب العلم بالعديد من الخدمات – ومدى ارتباط هذه بالظروف السياسية والاقتصادية والدينية والعلمية فى ذلك العصر، مع توضيح ما يمكن الاستفادة منه فى مجال الخدمات الطلابية فى الوقت الحاضر، مستعينة فى ذلك بالمنهج التاريخى، حيث تم الرجوع إلى بعض المصادر الأولية التى تناولت ذلك العصر، بالاضافة إلى المصادر الثانوية ذات الصلة بالموضوع .

وقد أوضحت الدراسة فى جزءها الأول معنى الخدمات الطلابية ومجالاتها المختلفة وأهميتها من حيث اعتبارها ضرورة لتحقيق تكافؤ الفرص التعليمية، ووسيلة لتحقيق النمو المتكامل للطلاب، ولحل ما يواجههم من مشكلات، إضافة إلى دورها فى زيادة قدرة الطلاب على التحصيل الدراسى وتحقيق الأهداف المتوخاة من المؤسسة التعليمية .

وتناولت الدراسة فى جزءها الثانى أوضاع المجتمع المصرى فى عصر الأيوبيين والمماليك السياسية والاقتصادية والدينية والعلمية ومدى انعكاسها على ما تقدم للطلاب فى ذلك العصر من خدمات متنوعة .

وقد أشارت الدراسة فى جزءها الثالث إلى أن هذه الخدمات قد شملت مجالات عديدة منها : توفير معاهد التعليم المجانية، وتوفير المساكن لإقامة الطلاب فيها خاصة الفقراء والمغتربين، مع وضع الشروط التى تكفل حسن استفادة الطلاب من الاقامة فيها، وتوفير التغذية المجانية (المساعدة المالية (معلوم الطالب) ، وكذلك الخدمات المكتبية، والخدمات الصحية الوقائية والعلاجية، كما شملت هذه الخدمات خدمات التوجيه والإرشاد الطلابى .

أما الجزء الأخير من الدراسة فقد تناول مجموعة من الجوانب التى يمكن الاستفادة منها فى مجال الخدمات الطلابية فى الوقت الحاضر والتى تمثلت فى:-

١- ضرورة النظر إلى الخدمات الطلابية على أنها تشكل ركناً أساسياً من أركان العملية التعليمية لا يمكن التخلى عنه أو ترشيده - من منطلق ما يثيره البعض عند الحديث عن ترشيد مجانية التعليم - بل على العكس من ذلك خاصة وأن عدم كفاية الخدمات الطلابية يمثل جانباً من سلبيات واقع التعليم فى مجتمعنا.

٢- العمل على تشجيع الجهود الأهلية للعمل فى مجال توفير بعض الخدمات لطلاب العلم، من خلال تشجيع الجمعيات الأهلية للعمل فى هذا المجال، وتوعية أفراد المجتمع بأهمية تعاونهم لتقديم هذه الخدمات .

٣- العمل على توفير القوى البشرية المؤهلة لتعمل على تسهيل حصول الطلاب على الخدمات التى يوفرها لهم المجتمع خاصة فى مجال السكن الطلابى والمكتبات .

٤- ضرورة قيام العلماء وطلاب العلم بدورهم الاجتماعى والاصلاحى، لما لذلك من دور هام فى زيادة اهتمام المجتمع بالعلم ورعايته لطلابه .

مناقشات

في

دراسات وبحوث في

تاريخ التربية والتعليم

س١ : ما مبررات الاهتمام بالأسرة كمؤسسة تربوية .

جـ : ....

س٢ : ما الدور التربوى للأسرة فى الحضارة المصرية القديمة .

جـ : ....

س٣ : ما الدور التربوى للأسرة فى العصور المسيحية .

جـ : ....

س٤ : ما الدور التربوى للأسرة فى العصور الإسلامية الحديثة .

جـ : ....

س٥: ما مفهوم تكافؤ الفرص التعليمية وما الأركان الرئيسية التى يقوم عليها .

جـ : ....

س٦ : ما أهم مظاهر تكافؤ الفرص التعليمية فى تراثنا التربوى والإسلامى .

جـ : ....

س٧ : ما أهم الجوانب التى يمكن الاستفادة منها فى مجال تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية فى وقتنا الحالى .

جـ : ....

س٨ : ما مكانة المرأة فى المجتمع من منظور إسلامى .

جـ : ....

س٩ : ما مظاهر الاهتمام بتعليم المرأة فى المجتمع الإسلامى الأول .

جـ : ....

س١٠ : ما الذى يجب أن تتعلمه المرأة من منظور إسلامى .

جـ: ....

س١١ : ما أهم مجالات الخدمات الطلابية زمن الأيوبيين والمماليك.

جـ: ....

س١٢: كيف يمكن الاستفادة من الخدمات الطلابية التى قدمت زمن الأيوبيين والمماليك فى عصرنا الحالى.

جـ: ....